مجلة إسلامية دعوية تعليمية تربوية

نفحات المدينة

العدد الثالث والعشرون

ربيع الأول | ربيع الآخر | جمادى الأولى 1448 هـ

أبرز محتوياتها:

- شمولية الرحمة المحمدية لجميع الأنبياء(عليهم السلام)
- هدي رسول الله ﷺ في التعامل مع الشباب
- غرس محبة الصالحين في قلوب الأبناء
- ثمرة وتجسيد رؤية الإمام أحمد رضا الإصلاحية
- العلم بين التلقّي والتصدّر (الجزء الأول)

مجلة

نفحات المدينة

مجلة إسلامية تعليمية تربوية

العدد الثالث والعشرون
ربيع الأول | ربيع الآخر | جمادى الأولى 1448هـ

يصدرها

مركز الدعوة الإسلامية

تحت رعاية

فضيلة الشيخ
محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى

المحتويات

1	من أنوار الوحي	شمولية الرحمة المحمدية لجميع الأنبياء (عليهم السلام)	٢
2	من مشكاة النبوة	الظلم ظلمات (حقيقة الشرعية ومظاهره المعاصرة)	٤
3	أصول العقائد والدين	الوعي الديني ومسؤوليتنا (الجزء الثاني والأخير)	٧
4	أصول العقائد والدين	القول السديد في بيان التوحيد	١٠
5	المذاكرة المدنية	أسئلة وأجوبة	١٣
6	توجيهات ربانية	الإسلام حصن الضعفاء	١٤
7	نفحات عطرية في سيرة خير البرية	هدي رسول الله ﷺ في التعامل مع الشباب	١٦
8	التربية الروحية	العلم بين التلقّي والتصدّر (الجزء الأول)	١٩
9	من خصائص الإسلام	أساس العمران وروح الشريعة (العدل في الإسلام)	٢٢
10	مقالات عملية	الهشاشة الفكرية (مفهومها، أسبابها، مخاطرها وسبل علاجها)	٢٦
11	مقالات تنويرية	كيف نتعامل مع الحيوانات والطيور؟	٣٠
12	واحة المرأة المسلمة	غرس محبة الصالحين في قلوب الأبناء	٣٢
13	مقالات تنويرية	الكذب داء يهدم الثقة ويفسد المجتمعات	٣٤
14	نشاطات المركز	ثمرة وتجسيد رؤية الإمام أحمد رضا الإصلاحية	٣٧

المدير العام
- مهروز علي العطاري المدني

المدير التنفيذي
- عبد الله المدني

المشرف
- أبو سفيان محمد راشد المدني

المفتش الشرعي
- المفتي جميل أحمد الغوري العطاري المدني

التدقيق والتصحيح
- طارق المحمد
- محمد حسان رضا المدني

الإخراج
- إدارة الشؤون العربية التابعة لمركز الدعوة الإسلامية

التزيين والتصميم
- محمد نديم الأنصاري المدني

للاشتراك السنوي بمجلة
نفحات المدينة

العدد الواحد ← 12 دولارًا 500 روبية باكستانية

لحجز السنوي مع الخصم ← 45 دولاراً 2,000 روبية باكستانية

(شاملًا رسوم التوصيل)
احجز الآن واستفد من العرض المميز!

للحجز تواصل معنا عبر .....
+92 311 7301781
+92 313 1139278

الشيخ محمّد قاسم العطّاري حفظه الله تعالى
المفتي العام بمركز الدعوة الإسلامية ورئيس قسم دار الإفتاء

شمولية الرحمة المحمدية لجميع الأنبياء (عليهم السلام)

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [1]

التفسير:

إنّ سيّدنا محمدًا المصطفى ﷺ، رحمةٌ لجميع الأنبياء والمرسلين والملائكة عليهم السلام، كما أنّه رحمةٌ للجنّ والإنس، وللمؤمن والكافر، بل ولسائر الحيوانات والنباتات، فكلُ ما يندرج تحت لفظ "العالمين" فإنّه ﷺ رحمةٌ له.

وقد قال الشيخ أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: العالَم هو ما سوى الله تعالى، فيدخل فيه الأنبياءُ والملائكةُ، فلا محالة أنّ رسول الله كان رحمة لهم ونعمة ربانية، وهم جميعًا مُستفيضون من أنوارِ فيضِه ﷺ، وقد صرّح الأولياء الكاملون والعلماء العاملون بالدين؛ أنّ كلّ نعمةٍ ظفر بها أحد من الخلائق فيما مضى أو ينالها في الحاضر، أو سيفوز بها في المستقبل، منذُ الأزل إلى الأبد، في الأرض والسماء، وفي الأولى والآخرة، وفي الدين والدنيا، وفي الروح والجسم، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، قليلةً أو كثيرة، فإنّما قُسمت وتُقسَم وستقسم من الحضرة النبوية المباركة، فما انقسم خير قط إلا من بابه.[2]

وقد دلّت الآية المباركة المذكورة على أفضليّة النبيّ الكريم ﷺ على سائر المخلوقات بأسرها، وقد قال الفخر الرازي رحمه الله: أجمعت الأمة على أنّ سيدنا محمدا ﷺ أفضل من الكلّ لأنه لما كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين.[3]

سيد الأنبياء ﷺ رحمةٌ لهم وبركةٌ:

إنّ سيدنا محمدا المصطفى ﷺ هو بركة ورحمة ووسيلة مقرّبة إلى الله لجميع الأنبياء عليهم السلام إذ أخذ الله عليهم الميثاق أن يؤمنوا به وينصروه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢﴾ [4]

فكان إيمان الأنبياء به ونصرتُهم له رحمةً عظيمة لهم، وسببا جليلا للقرب من الله ورضوانه.

وقد صحّ عن علي وابن عباس رضي الله عنهم: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته.[5]

ويؤيد ذلك قولُ النبي ﷺ: **لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي.**[6]

وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله: الرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، دائما إلى يوم الدين، هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد؛ لكان هو الواجب طاعته، المقدم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النوبة إليه، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.[7]

النبيُّ ﷺ وسيلةُ الأنبياءِ إلى الله تعالى:

إنّ سيدنا محمدا المصطفى ﷺ هو وسيلة القرب إلى الله تعالى للأنبياء والملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[8]

وإنّ أقرب الخلق إلى الله تعالى هو من يتوسل به الأنبياء والملائكة، ولا شك قطعا أنّ سيدنا محمد ﷺ هو أقربهم إلى رب العالمين؛ فهو إذن الوسيلة العظمى للجميع، وأيّ رحمة أعظم من أن يكون ﷺ لهم وسيلة إلى القرب من رب العالمين؟!

علما أنّ الظهورَ الكامل لكونه ﷺ وسيلة لجميع الأنبياء وسائرِ الخلائق سوف يظهر يومَ القيامة لجميع الخلائق، حين يَفزعُ الخلقُ إلى الأنبياءِ عليهم السلام، فيعتذرون، ويُحيلُ بعضُهم على بعض، حتى ينتهيَ الأمرُ إلى سيّد الكائنات سيدنا محمد المصطفى ﷺ، كما ورد في الحديث الشريف: **إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي.**[9]

شهادته ﷺ للأنبياء يوم القيامة:

إذا حضر الأنبياء بين يدي الله تعالى يوم القيامة وسألهم الله عن بلاغ الرسالة وأداء الأمانة، فإن التصديق لدعواهم في تبليغ الحق لن يكتمل أخيرا إلا بشهادة سيدنا محمد المصطفى ﷺ، كما صح في الخبر الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه: **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ:** ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[10] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[11]

شواهد جزئيةٌ على رحمته ﷺ للأنبياء:

علاوة على ما تقدّم من دلائل كلية تثبت أنّ نبي الرحمة ﷺ رحمة لجميع الأنبياء؛ فإنّ هناك شواهد جزئية كثيرة، منها:

قبول توبة آدم عليه السلام بتوسّله بمحمدٍ ﷺ.

في الحديث الشريف: لَمَّا أَذْنَبَ آدَمُ الَّذِي أَذْنَبَهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْعَرْشِ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لِي.[12]

جريانُ سفينة نوح عليه السلام باسمه ﷺ.

نقل الزرقاني رحمه الله: إنّ سفينة نوح جرت به (أي باسمه ﷺ).[13]

سلامةُ إبراهيم عليه السلام من النار بنوره ﷺ:

نقل شارحُ البخاري الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى هذين البيتين لابن جابر:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ... ونجّى في بطن السفينة نوح

وما ضرت النار الخليل لنوره ... ومن أجله نال الفداء ذبيح[14]

الخاتمة والدعاء:

نسأل الله تعالى أنْ يجعلَ لنا نصيبًا وافرًا من الرحمة الكاملة ومن نبيّ الرّحمة ﷺ، وأن يوفّقنا للعمل بتعاليمه الشريفة، والسير على هديه القويم، آمين بجاه خاتم النبيين ﷺ.

---

(1) [الأنبياء: 107]. (2) (الفتاوى الرضوية، رسالة تجلّي اليقين، 30/141). (3) (التفسير الكبير، 2/521، مختصرا). (4) [آل عمران: 81-82]. (5) (جامع البيان للإيجي، 1/268، دار الكتب العلمية بيروت). (6) (مسند أحمد، 22/468، (14631)، مختصرا، مؤسسة الرسالة). (7) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 2/59). (8) [الإسراء: 57]. (9) (صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة...إلخ 4/576-577، (7510)، مختصرا). (10) [البقرة: 143]. (11) [البقرة: 143]. (12) (المعجم الأوسط، من اسمه محمد، 5/36، (6502) مختصرا). (13) (شرح الزرقاني على المواهب، 4/238، دار الكتب العلمية). (14) (المواهب اللدنية، 3/605، المكتبة التوقيفية).

أبو رجب محمد آصف العطاري المدني

الظلم ظلمات

حقيقته الشرعية ومظاهره المعاصرة

صح في الحديث الشريف

عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

عن النبي ﷺ أنه قال:

الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَة [1].

وإنّما أورد الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى هذا الحديث في "كتاب المظالم"؛ لاشتماله على بيان أنّ الظلم يصير ظلماتٍ يوم القيامة.

شرح الحديث:

قال الشيخ محمد شريف الحق الأمجدي رحمه الله تعالى: إنّ الظالم بسبب ظلمه يرتكب جملة من المعاصي والآثام في آن واحد؛ فهو يجمع بين معصية الله تعالى ورسوله ﷺ، وإيذاء المسلم الضعيف، وربما يتعدّى ذلك إلى الشتم أو الضرب أو سلب الأموال، بل قد يجمع بين هذه كلها، كما هو مشاهدٌ في كثيرٍ من الأحوال، فضلا عن انتهاك عرض المسلم، والسعي في إشاعة الفساد والاضطراب في المجتمع، فالجزاء من جنس العمل، حيث ينقلب ظلم الظالم يوم القيامة ظلمات تحيط به. [2]

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: إذا سعى المتقون بنورهم الذي اكتسبوه في الدنيا من التقوى ظهرت ظلمات الظالم فاكتنفته. [3]

تعريف الظلم:

الظلم في اللغة: هو وضع الشيء في غير موضعه. [4]

وفي الاصطلاح: التعدّي على حق الغير، وصرف الشيء في غير محله، ومعاقبة البريء بلا جرم. [5]

صور الظلم الحديثة:

لقد تعدّدت صور الظلم وتشعبت أساليبه على مرّ العصور، وفي عصرنا الحاضر ظهرت أشكال شتّى من المظالم التي تترتب عليها المؤاخذة الشرعية، وفيما يلي إشارةٌ إلى بعض أبرز صور الظلم في هذا الزمان.

1 الإساءة الأسرية (Domestic Abuse):

- الاعتداء الجسدي على الزوجة والأولاد بالضرب أو إلحاق الأذى النفسي بهم كإذلالهم وتحقيرهم.
- عدم القيام بحقوق الوالدين وعدم رعاية قدْرهما.
- زجر الإخوة الصغار وتوبيخهم على وجه مؤذٍ مؤلم.

وهذا النوع من الظلم يزدادُ قُبحًا وخطورةً لأنه يقعُ في الغالب داخلَ جدران البيت بعيدًا عن أعين الناس.

2 الاستغلال الاقتصادي (Economic Exploitation):

- عدم إعطاء الأجير أجرَه كاملا.
- تكليف العامل بأعمال إضافية خارج نطاق الاتفاق دون مقابل مالي.
- تقصير الموظف أو العامل في أداء واجبه مع استيفاء الأجر كاملا.
- استغلال المحتاجين من خلال النظام الربويّ.
- ممارسة الفساد المالي.

ويُعدّ هذا الضرب من الجور من أبرز الأسباب لتفشّي الفقر وتعميق الفجوة الطبقية بين فئات المجتمع.

3 الظلم الاجتماعي (social injustice):

التمييز بين الناس في أمور مختلفة على أساس الطبقة أو العرق. ← انتهاك حقوق العباد.

وهذا النوع من الجور يجرح كرامة الإنسان ويهدم احترام الذات ويزرع بذرة البغضاء والأحقاد في المجتمع.

4 الظلم في العصر الرقمي (Injustice in the Era of Technology):

لقد أتاحت وسائلُ التواصل الاجتماعيّ كثيرًا من التيسير في الحياة، إلّا أنّها في الوقت نفسه فتحتْ أبوابًا جديدةً من الظُلم والاعتداء، ومن ذلك:

- التنمر الإلكتروني.
- التحرش لا سيما ضد النساء على الانترنت.
- بث الأخبار الزائفة لإثارة القلاقل في المجتمع.
- استغلال البيانات والمعلومات الشخصية لتشويه السمعة وإسقاط الكرامة.

5 ظلم شبكات التسول (Begging Mafia):

لقد أصبح القائمون على التسول في عصرنا هذا أشبهَ بالمافيا، حيث تفشّت أشكال مختلفة منجرائمهم المجتمع؛ فهم يختطفون الأطفال الصغار ويقتادونهم إلى مناطق نائية لئلا يتمكن أحد من التعرف عليهم، وفي المقابل يظلّ الآباء والأمهات في حالٍ من الصدمة والحزن، يبحثون عن فلذات أكبادهم في كلِّ حدب وصوب بقلوبٍ مفجوعة، ثمّ يمضي هؤلاء الظالمون إلى أبشع صور الجريمة، حيث يشوّهون الأطفال بكسر أطرفهم وجوارحهم ليجعلوهم وسيلة للتسول، حتى إذا مضت السنون وكبر الصغار، تغيرت ملامحهم وصاروا في وضع لا يكاد يعرفهم فيه أهلوهم.

ولو أنّ روّاد منصّات التواصل الاجتماعي ـ الذين يخوضون في الغث والسمين ـ سخّروا جهودهم في هذا الباب الإنساني النبيل، فنشروا صور هؤلاء الأطفال المفقودين حيثما وجدوهم عبر "تيك توك" و"فيس بوك" ومجموعات "واتساب" لكان في ذلك عونٌ كبيرٌ للوالدين المفجوعين للوصول إلى فلذات أكبادهم سريعا، وقد وُجدت شواهدُ كثيرةٌ على أنّ أطفالًا تائهين عادوا إلى ذويهم بفضل مثل هذه المشاركات، ويكونُ الساعون فيها إن شاء اللهُ مأجورين مثابين عند الله بإذنه، كما أنّه على أولئك المتسولين المقترفين لهذه الجرائم أن يتوبوا توبة صادقة من ظلمهم وسائر آثامهم، علّهم أن ينجوا من ظلمات يوم القيامة.

6 ظلمُ شركات الأدوية والمختبرات الطبيّة:

تتفنن شركات الأدوية في ابتكار أساليب مستحدثة لاضطهاد المرضى الفقراء، ويشاركُهم في هذا الجرم بعضُ الأطباءِ الجشعين، ومن مظاهر ذلك:

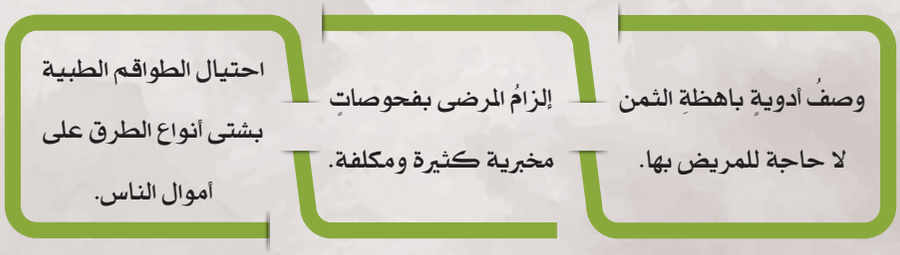

ومع هذا كله، لا تخلو الدنيا من أطباء بررة يخافون الله تعالى، نسأل الله أن يكثر من أمثالهم.

7 ظلم بعض المحامين:

المحامون أيضًا لا يقلّ بعضُهم ظلمًا عن غيرهم، ومن صور ذلك:

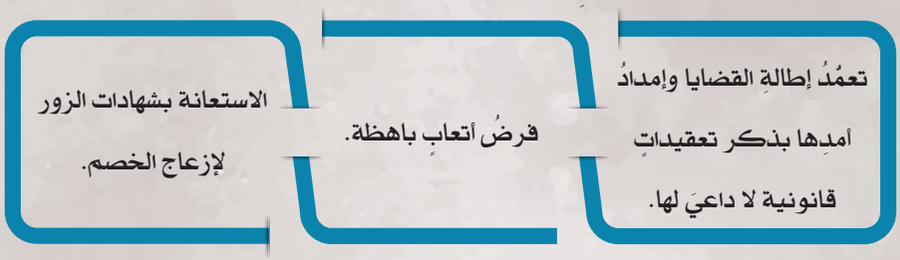

وعلى أية حال كذلك، لا يخلو هذا السِّلك من محامين نزيهين شرفاء، لكنهم قلة نادرة كالملح في الطعام.

8 ظلمُ مَن يغتصب حقوق المستحقِّين:

من أعظم الظلم أن يدّعي المرء استحقاقه للزكاة كذبا وزورا، فيأخذ أموالها بغير حق، مما يؤدي إلى حرمان الفقراء الحقيقيين الذين هُم أحق بها وأولى.

9 الاعتداء على الحيوانات:

تتعدد المشاهد المؤلمة لتعذيب هذه الكائنات العجماء التي لا نطق لها كالحيوانات، فليحذر المعتدون عليها عاقبةَ فعلهم؛ فكيف لهم أن يؤدوا حساب ذلك يوم القيامة؟! وعلى الذين يؤذون الحيوان بغير حق أن ترتعد فرائصهم خوفا من الله، خشية أن يُسَلِّط عليهم بعد الممات تلك البهائمَ نفسها لتكون عذابا عليهم.

قال الإمام ابن حجر المكي رحمه الله تعالى: الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوّعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بنظير ما ظلمها أو جوّعها[6]، ويدل لذلك حديث الهرة، في الصحيح: أنه ﷺ قَالَ: دَنَتْ مِنّي النّارُ، حَتّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ، حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: تَخْدِشُهَا هِرّةٌ، قَالَ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتّى مَاتَتْ جُوعًا. [7]- وهذا عام في سائر الحيوانات.

وأخيرا، نسأل الله العليّ القدير أن يعصمنا من الظلم كله، ويُعيذنا من أن نجور على أيّ إنسان أو حيوان، آمين بجاه خاتم النبيين ﷺ.

---

(1) (صحيح البخاري، 127/2، (2447)).
(2) (نزهة القاري، 668/3، معزيا مختصرا).
(3) (كشف المشكل: 560/2).
(4) (التعريفات للجرجاني: ص102).
(5) (مرآة المناجيح: 669/6، معربًا).
(6) (الزواجر عن اقتراف الكبائر، 174/2، مختصرا).
(7) (صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، 99/2، (2364)).

الشيخ محمّد قاسم العطّاري حفظه الله تعالى
المفتي العام بمركز الدعوة الإسلامية ورئيس قسم دار الإفتاء

الوعي الديني ومسؤوليتنا

(الجزء الثاني والأخير)

إجابات حول محبة المؤمنين لذوي الأرحام من غير المسلمين

لماذا أبيح نكاح الكتابيّة رغم حرمة صداقة ومحبة الكفار/ غير المسلمين ؟

الاعتراض: من المعلوم أنّ القرآنَ المجيدَ قد نصّ على جوازِ النكاح من نساءِ أهل الكتاب بشروطٍ معلومةٍ، و بغض النظر عن أمر الزوجة؛ فإن الإنسان إنما يختار الزوجة برغبته وإرادته، ولكن إذا نظرنا إلى الأقارب وذوي الأرحام من الأم، والأب، والإخوة والأخوات وغيرهم؛ نجد أن العلاقة بهم غير اختيارية؛ فالإنسان لا يقدر أن يتخذ بنفسه من شاء أبا له أو أما له، أو إخوة له، بل هذه القرابة تأتي بتقدير الله تعالى، ولا خيار فيها للإنسان.

بعد هذه المقدمة سنعود إلى الإشكال، وهو: أنه إذا أباح الإسلام زواج المسلم من المرأة الكتابية، فالحب الدائر بين الزوجين أمر فطري، وكذلك بقاء المودة من أقارب النسب غير اختيارية.

وفي الوقت نفسه، نحرم صداقة وموالاة غير المسلمين جميعا، فكيف يُفسر الجمع بين هذين الحكمين؟

الجواب: هذا صحيح أن الإسلام قد أباح زواج المسلم من المرأة الكتابية، وحب الإنسان للوالدين وغيرهم من الأقارب أيضا أمر طبيعي حتى ولو كانوا من الكفار، رغم ذلك قد حرم الإسلام موالاة الكفّارِ ومودّتهم، ولِفهم هذا الحكم الشرعي، يرجى التأمل في بعض الآيات الكريمة ومدلولاتها، قال سبحانه وتعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[1]

فمن يجعل الدين لعبا واستهزاء حرّمت صداقتهم وموالاتهم في هذه الآية.

وإليكم الآن الآية الثانية التي تمنع اتخاذ بعض الأقارب وذوي القربى أولياء مصرحة بذكرهم، حيث يقول الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[2]

وها هي الآية الثالثة في هذا الباب، والتي تنص على أنه ليس من شأن المؤمن الحقيقي أن يواد أعداء الله ورسوله، كما ذكرت في سورة المجادلة:

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾[3]

فاتضح لنا من خلال هذه الآيات أن الإسلام قد نهى نهيا قاطعا عن صداقةِ الكافرين ومودتهم. وأمّا إذا تزوج مسلمٌ بغير مسلمة من أهل الكتاب، فمن الطبيعي أن تنشأ بينهما المودة والحب، وكذلك من تشرف بالإسلام من عائلةٍ غيرِ مسلمةٍ مع بقاء والديه أو إخوته على الكفر، فلن يزول من قلبه حبه لهم، وسيظل كما كان؛ فإن هذا الحب مبدؤه هو النسب والرحم.

هناك من يلتبس عليهم الأمر بأنه كيف يمكن الجمع بينهما؟ (فعاطفية غير اختيارية في ناحية، وأمر قطعي من الله تعالى في ناحية أخرى).

يُجابُ عليه أن حب المرء تجاه والديه، أو الأولاد والزوجة حب تلقائي غير اختياري، أي: لا دخل فيه للإنسان، فهذا النوع من الحب غير منهي عنه في الإسلام؛ فإن الله تعالى لا يكلف العباد ما لا يطيقون، كما قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]

وهاهنا أمران:

أولهما: أن هذا الجواز لا يفضي إلى جواز صداقة ومحبة جميع غير المسلمين. فهذه الرخصة تنحصر في الحب الغير الاختياري فقط، ولا تشمل الحب الاختياري، وصداقة جميع غير المسلمين.

وثانيهما: على الرغم من وجود العاطفة الطبيعية تجاه الزوجة غير المسلمة والوالدين غير المسلمين، لا ينبغي التغاضي عن هذا الأمر بأنهم معرضون عن الإسلام، ويكذبون الله ورسوله ﷺ، ويكفرون بهما، ويعادونهما، ويعصونهما، ومن ثم فإن الله تعالى ورسوله ﷺ وملائكته أعداء لهؤلاء الكفار. فأولا: لا تغمضوا عيونكم عن هذه الحقائق. وثانيا: اعتبروا أن صداقة هؤلاء الأقارب أيضا محرمة. وأما المودة الفطرية تجاههم، فبقدر وسعكم حاولوا كتمانها قدر المستطاع، بل اسعوا إلى إطفاء تلك المحبة الطبيعية تماما؛ فإن المحبة الطبيعية تأتي من غير إرادة، لكن إزالتها أمر مقدور عليها، ومن أبقى في قلبه مثل هذه المحبّة الفطريّة عن قصدٍ فقد اختار الموالاة، وهي محرمة قطعا. [5]

حكم مشاركة الكفار في أعيادهم

السؤال: هل تُشكّل مشاركةُ المسلمين في الأعيادِ القوميّة والدينيّة لغيرِ المسلمين تهديدا على الإسلام؟

الإجابة: الإسلام دين الحق الخالص، والكفر باطل محض، فإذا اختلط الحق بالباطل كيف لا يتضرر؟

وإذا كانت المؤسساتُ التعليميةُ في الدول الإسلامية تحتفل بالأعياد الوطنية والدينية لغير المسلمين احتفالًا واسعًا، ويشاركُ الطلابُ والطالباتُ المسلمون فيها بجرأةٍ واندفاع، فإن هذا يتعارض مع التوجيهاتِ الإسلاميةِ الأساسيةِ في كيفيةِ التعاملِ مع غيرِ المسلمين، وحينئذٍ لن يبقى في قلوب المسلمين ما ينبغي أن يكون فيها من كراهيةِ الكفرِ والنفورِ من أهله كما أمر به الإسلام. وهذا مما يعرض إيمان المسلم للخطر، ومن الأدلة الظاهرة على تحقق هذا الخطر أن الذين يشاركون غير المسلمين في مثل هذه المناسبات تضعف في قلوبهم تعظيم شعائر الإسلام تدريجيا، وتقل مكانة الأحكام الشرعية، وتزول كراهية الكفر وآثاره من نفوسهم، كما يظهر في المشاهدة. فيجب على كل مسلم أن يتبع الإسلام اتباعا كاملا، وليس من شأن المسلم أن يحدد الإسلام على نطق الشهادتين أو أداء بعض الأعمال الدينية فحسب، وهو يعيش حالة زول كراهية الكفر والشرك من قلبه، وأمر الله تعالى بيّن فيه، قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾[6]

ومن هنا يتبيّن أن محبة الإسلام، وكراهية الكفر كراهية شديدة من أهم أصول الدين، بل هو الفاصل بين الإيمان والكفر، ولذلك لا ينبغي التساهل والإهمال في هذا الباب، بل إن حديث النبي ﷺ فيه زجرٌ بليغ لمن يشارك غير المسلمين في أعيادهم:

"مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"[7].

وأما فيما يتعلق باتخاذ الشعائر أو بالاحتفال بالأعياد الدينية لأي قوم من الكفار، فقد قال عنه أحمد بن محمد الحموي: اتفق مشايخنا أن من رأى أمر الكفار حسنا فقد كفر. (8)

يقول البعض: إن الإسلام هو دين الله تعالى، وقد تكفل بحفظه، فلماذا نخاف عليه؟

الإجابة: إن الإسلام هو دين الله تعالى، ولكن هل يعني ذلك أن تتخلى الأمة الإسلامية عن مسؤوليتها؟ وتترك الدعوة إلى الإسلام، والنهي عن الكفر والشرك، والأمر بالمعروف؟ وإذا كان الله قد تكفل بحفظ دينه فلماذا بعث هذا العدد الكبير من الأنبياء عليهم السلام؟ ولماذا أرسل سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون، ولماذا أمر سيدنا محمد المصطفى ﷺ بقتال الكفار؟ ولِمَ تَحَمّل الصحابة رضي الله عنهم والأولياء مفارقة الأهل والوطن، وسافروا في سبيل نشر الدين وحفظه؟ ثم لنسأل المعترض: أليس الرزق كذلك على الله تعالى؟ كما قال تعالى في كتابه العزيز: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: 6] وبعد قراءة هذه الآية هل يقول المعترض أنه سينتظر رزقه في بيته، أم هو يسعى في طلبه؟ فإن يخرج من بيته سعيا لطلب الرزق، فأسأله: أليس الله هو الرزاق وقد ضمن لنا الرزق، كما أخبرنا في القرآن، فلماذا هذه المشقة كلها في السعي؟

لكننا في الواقع نرى أن الناس قد جعلوا الدين أمرًا هينًا، واعتنوا في شؤون حياتهم اعتناء كبيرا، فإذا كان الأمر يتعلق بحفظ الدين يقولون: إن الدين لله، وهو من يتولى بحفظه.

والحقّ أنّ التمسك بالدين وخدمته من توفيق الله تعالى، وسعادة المرء بهذا الالتزام، والله يوفق من يشاء لخدمة دينه.

---

(1) [المائدة: 57]
(2) [التوبة: 23].
(3) [المجادلة: 22].
(4) [البقرة: 286].
(5) (الفتاوى الرضوية، 465/14، ملخصًا).
(6) [البقرة: 208].
(6) (سنن أبو داوود، 62/4 (4031)).
(7) (غمز عيون البصائر فى شرح الأشباه والنظائر،88/2).

ثمرات الولاية المستفادة من بعض الأحاديث الشريفة

الولاية درجة عالية ورفيعة يختص الله بها الذين أحبهم من عباده فإذا أحب الله عبدا:

1. صار سمعه بالله
2. وأصبح بصره بالله
3. وحركة يديه لله وبالله
4. ومشى برجله بما يرضي الله
5. وإن سأل الله أعطاه
6. وإن استعاذ به أعاذه
7. وحببه لعباده
8. ولو أقسم على الله لأبره
9. واستعمله على قضاء حوائج الناس
10. ويدفع عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء (ببركته)

طريق ذلك وسبيله

- المحافظة على الفرائض
- الإكثار من النوافل
- الإكثار من الذكر
- صحبة الصالحين

محمد رضا القريشي

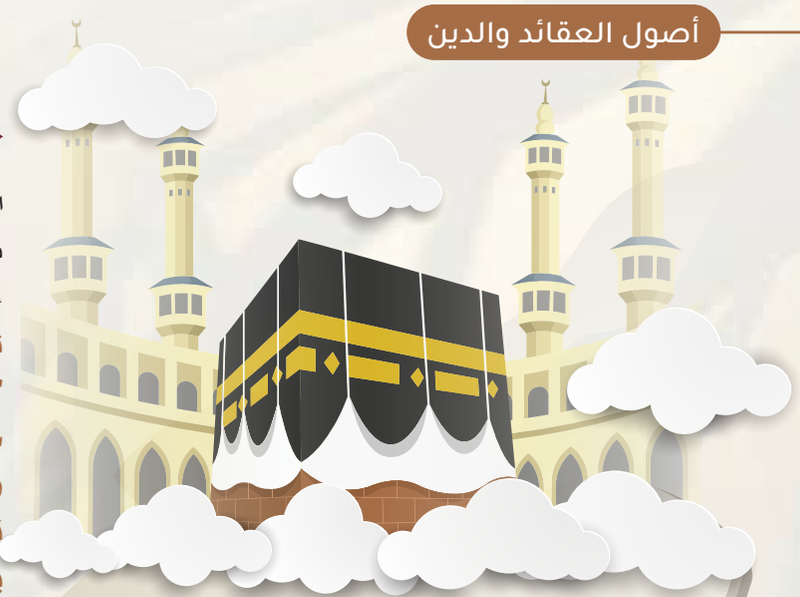

القول السَّديد في بيان التَّوحيد

الحمد لله رب العالمين، المتفرد بالكمال والجـلال، المختـصّ بالألوهـية والربوبـية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن علم التوحيد أشرف العلوم قدرًا، وأعظمها غايةً؛ إذ به تُعرف صفات رب العالمين، وبه يتميز الإيمان الخالص من الشرك المُبين، وقد جعل الله تعالى هذا الأصل أساس النجاة، وعليه مدار القبول في الدنيا والآخرة.

ولما كانت معرفة التوحيد لا تتمُ إلا بمعرفة ما يضادُه ويناقضه، وجب على طالب الحق أن يتأمل حقيقة التوحيد كما قرّرها أئمة أهل السنة والجماعة، وأن يفهم حقيقة الشرك فهمًا منضبطًا بعيدًا عن الغلو والتفريط.

وفي هذه المقال نبيّن مفهوم التوحيد والشرك مستندين إلى الكتاب والسنة، مع الاستئناس بكلام أئمة الإسلام كالإمام الطحاوي والإمام الباجوري والإمام التفتازاني وغيرهم رحمهم الله مع دفع الأوهام والشبهات التي يستغلها أهل الغلو في التكفير لرمي عامة المُسلمين بالشرك بسبب التوسل والتبرك والاعتقاد في المُعجزات والكرامات، موضحين الفرق الجلي بين التأثير الاستقلالي (وهو الشرك) وبين سببية العباد بإذن الله وعطائه.

أولًا: التوحيد هو حق الله تعالى على عباده

التوحيدُ حقُّ الله تعالى على عباده، وهو أصلُ الدين وأساسُه. وقد ثبت في الصحيح عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حق الله على عباده» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا» ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم"[1]

فهذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ في بيان التوحيد؛ إذ يدل على أن الغاية من خلق العباد هي عبادةُ الله تعالى وحده، وأن صرف العبادة لغيره هو عينُ الشرك المُناقض للإيمان، فلا يصح إسلام الإنسان إلا بالإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة.

ثانيًا: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحًا

التوحيد في اللغة مأخوذ من "وحَد"، أي جعل الشيء واحدًا.[2]

فهو مصدر وحَد يوحِد توحيدًا، فهو موحد. والواحد والأحد يدور معناه على الانفراد[3]

وأما في الاصطلاح، فقد عرّفه الإمام الباجوري رحمه الله بأنه:

إفرادُ المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا... [4]

ومعنى ذلك أن الله تعالى متفردٌ بذاته، كاملٌ في صفاته، منفردٌ بأفعاله، لا شبيه له ولا مثيل، ولا يشاركه أحدٌ في خصائص الألوهية.

ولهذا كانت دعوةُ جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام قائمةً على هذا الأصل العظيم، قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[5]

ثالثًا: حقيقة التوحيد

إنّ حقيقة التوحيد ليست مجرد الإقرار بوجود الله سبحانه وتعالى، بل هي معرفته بأسمائه وصفاته، وتعظيمه، ومحبته، وخشيته، ورجاؤه، والتوكل عليه، وإخلاص العبادة له وحده.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

فلا صلاحَ للقلوب حتّى تستقرّ فيها معرفةُ اللهِ وعظمتُه ومحبّتُه وخشيتُهُ ومهابتُه ورجاؤهُ والتوكلُ عليهِ، وتمتلئَ مِنْ ذَلِكَ، وهذا هوَ حقيقةُ التوحيد، وهو معنى لا إله إلا الله... [6]

فكلما ازداد العبد معرفةً بربه، ازداد إيمانًا وتوحيدًا واستقامةً.

رابعًا: كيفية تحقيق التوحيد والتقرب إلى الله تعالى:

يتحقق التوحيد علمًا وعملاً بمعرفة الله تعالى، والإيمان بأسمائه وصفاته، وإخلاص العبادة له، والمحافظة على الفرائض، والاجتهاد في النوافل، مع دوام التوبة، والاعتماد على الله، ومراقبته في السر والعلن.

كما ورد في الحديث القدسي:

"وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته". [7]

وهذا يدل على أن التوحيد ليس مجرد اعتقاد نظري، بل هو سلوك عملي ينعكس على حياة الإنسان.

خامسًا: مفهوم التوحيد والشرك

التوحيد والشرك من أعظم موضوعات العقيدة وأهمّها، لما له من أثرٍ أساسي في حياة المسلم وإيمانه. وقد اهتمّ علماء أهل السنة ببيانهما، فعرّفوا كلًا منهما ووضّحوا الفروق بينهما.

فالتوحيد يعني: بأن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره. قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد. لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام. خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة. [8]

فحقيقة التوحيد أن يتوجّه الإنسان بجميع أنواع العبادة لله تعالى وحده، مع الإيمان بأنه الخالق والمالك والمُدبّر الحقيقي لكل شيء.

أما الشرك فهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله على الوجه الذي لا ينبغي إلا لله تعالى. وهو ضربٌ من الكفر، ومعناه: أن يجعل العبدُ لله تعالى شريكاً سواء في العبادة أو في المُلك أو في الخلق أو في أي معنى من معاني الوهية المُولى سبحانه وتعالى كما قال الإمام التفتازاني رحمه الله تعالى:

الاشتراك هو إثبات الشريك في الألوهية بمعنى وجوب الوجود، كما للمجوس، أو بمعنى استحقاق العبادة، كما لعبدة الأصنام. [9]

سادسًا: الفرق بين صفات الخالق والمخلوق

سؤال: قد يقع في ذهن البعض هذا السؤال: إن "العلم" صفة لله تعالى، فلو أثبت شخص صفة العلم لغيره، فهل يكون ذلك شركا؟ وكذلك "السميع والبصير" من صفات الله تعالى، فلو أقر أحد بصفة السمع والبصر لغيره، فهل يعد هذا شركا أيضا؟ وعلى هذا النحو، فإن "الحياة" ثابتة لله تعالى، فلو وصف غيره بالحياة (أي قيل عنه إنه حي)، فهل يصير القائل مشركا؟

الجواب: إن الحياة ثابتة لله تعالى بيقين وإيمان، وكل من وهبهم الله تعالى هذه الصفة فهم متصفون بها؛ ومن ثم فإننا نثبت صفة الحياة لأنفسنا كما نثبتها لله تعالى. والسبب في نفي الشرك عن هذا هو أن الحياة التي نثبتها لله تعالى لا نثبتها لأنفسنا ولا لأي أحد من الخلق؛ لأن الله تعالى هو الذي وهبنا الحياة، بينما لا يوجد من يهب الحياة لله سبحانه. فحياتنا عارضة موهوبة من عنده، وحياة الله ليست عارضة ولا عطائية ولا محدودة، بل هي حياة باقية، بينما حياتنا محدودة وفانية، وبهذا يزول الشرك تماما. ويمكنك طرد هذا القياس وتطبيقه في جميع المسائل والصفات لتتضح لك المسألة جليا.

فإن صفات الله تعالى ذاتية، وقديمة، ولا ابتداء لها ولا انتهاء، وهي لا محدودة، وغنية عن كل شيء، ولا تفنى.

وأما صفات المخلوقين فهي عطائية وموهوبة، وحادثة، ولها ابتداء وانتهاء، ومحدودة، وتقبل الزيادة والنقصان، ومحتاجة إلى الله تعالى، وفانية.

فهل يمكن أن يتحقق الشرك مع وجود كل هذه الفروق؟ كَلّا، ويستحيل قطعًا! ألا يكفي فرقًا أن الله تعالى هو الخالق، وأن الأنبياء والأولياء والصالحين كلهم مخلوقون؟ فأي استواء أو مماثلة بين الخالق والمخلوق؟!

بناء على هذا، يجب أن يتقرر في الأذهان دائما أن مجرد الاشتراك اللفظي والتشابه الظاهري في العبارات لا يوجب الشرك أو التشبيه بأي حال من الأحوال.

سابعًا: أضرار الشرك على الفرد والمجتمع:

الشرك هو أعظم ما يُفسد عقيدة الإنسان، ويُبعده عن تحقيق التوحيد، كما يكون سببًا في حبوط الأعمال والخسران في الآخرة لمن مات عليه.

ولذا حذر الله سبحانه تعالى منه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [10]

وقال النبي ﷺ: **من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار.** [11]

ولا يقتصر ضرر الشرك على الفرد فقط، بل يمتد أثره إلى المجتمع، حيث يؤدي إلى انتشار الجهل والخرافات والعقائد الفاسدة، والانحراف في السلوك والأخلاق، مما يهدد استقرار المجتمع وسلامة عقيدته.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾[12]

ثامنًا: الغلو في التكفير ورمي تهمة الشرك على الآخرين:

من أبرز المآسي الفكرية في هذا العصر أن كثيرًا من الناس، رغم كثرة وسائل الدعوة والإرشاد، انصرفوا عن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وانشغلوا بإطلاق أحكام التكفير والتفسيق والردة على إخوانهم المسلمين بسبب مسائل خلافية أو فرعية، حتى أصبحت هذه الظاهرة من أخطر الفتن التي تهدد وحدة الأمة وتمزق صفها.

ولا ريب أن التسرع في تكفير المسلمين أو اتهامهم بالشرك بغير علم ولا بينة من أعظم الذنوب وأشدها خطرًا؛ إذ إن الحكم بالكفر أو الشرك من الأحكام الشرعية الخطيرة التي لا يجوز أن تُبنى على الظنون أو الأهواء، وإنما مردها إلى الكتاب والسنة وفق فهم أهل العلم الراسخين.

موقِفُ الإمام أحمد رضا خان الحنفي الهندي رحمه الله في مسألة التكفير:

قال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله: نقلًا عن خلاصة الفتاوى وجامع الفصولين والمحيط البرهاني والفتاوى الهندية وغيرها:

إذا كانت في المسألة وجوهٌ تُوجِبُ التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي والقاضي أن يميل إلى ذلك الوجه ولا يُفتي بكفره تحسينا للظن بالمسلم، ثم إن كانت نية القائل الوجه الذي يمنع التكفير فهو مسلم، وإن لم يكن لا ينفعه حمل المفتي كلامه على وجه لا يُوجِبُ التفكير.[13]

وقد توعدت السنة النبوية من يرمي مسلمًا بالكفر أو الفسق بغير حق، بأن يرجع عليه هذا الوصف إن لم يكن المقول فيه مستحقًا له.

وفي المقابل، فإن نقد الأفكار والمعتقدات المخالفة، وبيان الأخطاء العقدية بمنهج علمي قائم على الدليل والإنصاف، أمر مشروع، بل قد يكون من فروض الكفايات إذا كان المقصود منه إظهار الحق ورد الباطل، بعيدًا عن التشهير بالأشخاص أو الطعن في نياتهم أو الانتقاص من كرامتهم. أما إذا تحول النقد إلى وسيلة للإهانة، أو الشماتة، أو إثارة الأحقاد والتفرق بين المسلمين، فإنه يصبح محرمًا شرعًا، ويأثم صاحبه بما يترتب عليه من ظلم وعدوان.

وقد جاءت النصوص النبوية محذرة من خطورة اللسان، ومن التسرع في إطلاق أوصاف الكفر والفسق على المسلمين، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **" لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك "**[14]

كما أكد النبي ﷺ في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن أكثر ما يكب الناس في النار هو حصائد ألسنتهم.[15]

ومن النصوص التي تبين خطورة التسرع في اتهام المسلمين بالشرك ما رواه البزار عن النبي ﷺ أنه قال: **" إنما أتخوف عليكم رجلا قرأ القرآن حتى إذا رئي عليه بهجته، وكان ردءا للإسلام اعتزل إلى ما شاء الله، وخرج على جاره بسيفه، ورماه بالشرك "**[16]

وهذا يدل على أن الغلو في إطلاق أحكام الشرك والتكفير من سمات أهل الغلو والانحراف، وأنه باب عظيم من أبواب الفتنة.

ومن ثم، فإن الواجب على المسلم أن يتحرى العلم والعدل والإنصاف قبل الحكم على الأشخاص أو الجماعات، وأن يكل مسائل التكفير والتبديع والتفسيق إلى أهل العلم الراسخين؛ لأن إطلاق الأحكام الشرعية بغير علم من أعظم أسباب الفتن والتفرق، وهو مما يُسأل عنه العبد بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

وفي النهاية:

نقول إن التوحيد هو أساس الإسلام، وأعظم حقوق الله تعالى على عباده، وهو أول ما دعت إليه الرسل، وآخر ما ينبغي أن يفارق عليه المؤمن هذه الدنيا.

ولا تتحقق السعادة في الدنيا ولا النجاة في الآخرة إلا بإفراد الله تعالى بالعبادة، واجتناب الشرك بجميع صوره، ظاهرها وخفيها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل، وأن يثبتنا على كلمة التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) (صحيح البخاري: 170).
(2) (القاموس المحيط: 324).
(3) (تاج العروس لمرتضى الزبيدي: 269/9، بتصرف).
(4) (تحفة المريد على جوهرة التوحيد للباجوري: 38/1).
(5) [الأنبياء:25].
(6) (جامع العلوم والحكم لابن رجب: 200/1).
(7) (صحيح البخاري: 6502).
(8) (متن العقيدة الطحاوية: 8).
(9) (شرح العقائد النسفية للتفتازاني: 55).
(10) [النساء:116].
(11) (صحيح البخاري: 1238)
(12) [الأنعام:88].
(13) (الفتاوى الرضوية: 345/30).
(14) (صحيح البخاري: 6045).
(15) (سنن الترمذي: 2616).
(16) (مسند البزار: 2793).

المُذاكرة المدنية

فضيلة الشيخ محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى
شيخ الطريقة العطارية القادرية ومؤسس مركز الدعوة الإسلامية

هل الملائكة ينامون؟

السؤال: هل تنامُ الملائكةُ كما ينام البشر؟

الجواب: لا، فالملائكةُ لا تأخذُهم سِنَةٌ ولا نومٌ، ولا يأكلونَ ولا يشربون. (1)

حكم ثقب الأنف للمرأة؟

السؤال: هل تأثم المرأة بثقب الأنف للزينة؟

الجواب: ليس عليها شيء في ذلك. وربما يُقال عادة ثقب الأنف موجودة عند النساء، وقد بدأت تضعف في هذا العصر وصارت بعض النساء تضع مكانه لاصقا (Steaker) بدون ثقبه قد تغني عن ثقبه، لكن رواج ثقب الأذن لا يزال باقيا، ولا ندري متى ينتهي هذا أيضا، فمن المحتمل أن يظهر للأذن أيضا لاصق يثبت بقوة، وعندها ربما ينتهي رواج ثقب الأذن أيضا.(2)

حكم القول بأن النبي ﷺ نور الله؟

السؤال: هل يجوز لنا أن نصف الرسول ﷺ بأنه "نور الله"؟

الجواب: نعم، يجوز ذلك، فقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾(3). وقد ذهبَ كثيرٌ من المفسّرينَ إلى أنّ المرادَ بالنورِ في هذه الآيةِ هو ذاتُ سيّدنا المصطفى ﷺ، فبذلك ثبت أن الله سبحانه وتعالى هو من سمّى حبيبه المصطفى ﷺ نورًا، ولا بأس أن نردد سويا: الصلاة والسلام عليك يا نور الله.(4)

(1) فسر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: 310 هـ)، والإمام أبو محمد حسين البغوي (المتوفى: 510هـ)، والإمام فخرُ الدّين الرازي (المتوفى:606 هـ)، والإمام ناصرُ الدّين عبد الله بن عمر البَيضاوي (المتوفى: 685 هـ)، والإمام أبو البركات عبد الله النَسفي (المتوفى: 710 هـ)، والإمام أبو الحسن علي بن محمد الخازن (المتوفى:741 هـ)، والإمام جلالُ الدّين السُيُوطي الشافعي (المتوفى:911 هـ) رحمهم الله أجمعين وغيرهم من المفسرين: بأن المقصود من النور الذي ورد في الآية هو سيدنا محمد ﷺ.

وقد جاء في الحديث أن الحبيب المصطفى ﷺ قال: "يا جابر، إنَّ الله خلَق قبل الأشياء نورَ نبيك من نوره"(5)

صفة كلام رسول الله ﷺ:

السؤال: أرجو منكم سيدي أن تخبرونا عن صفة كلام النبي ﷺ وأسلوبه؟

الجواب: إنّ كلّ صفةٍ من صفاتِ النبيّ ﷺ فريدةٌ لا مثيلَ لها، أما بالنسبة لكلامه فكان ﷺ يتحدّث بلطفٍ وبصوتٍ هادئٍ وكلامٍ عذبٍ بعيدًا عن السرعة والصراخ، ليفهمه كلُ سامعٍ بسهولة، لا بصوت خفي لا يسمع، ولا يجهر به على شكل ينفر النفوس، وفي بعض الأحيان كان يعيد الكلام ثلاثا حتى يفهمه الناس جيدا ويحفظوه، وكان كلامُه ﷺ على سكينةٍ ووقار، كأنّ الفاظَه تُوزَنُ وزنًا، حتى لو أراد العادُ أن يحصيَها لأمكنه ذلك.(6)

إجابة الدعاء في مكان مولد المصطفى ﷺ:

السؤال: كيف كانت طريقة زيارتكم لمكان مولد المصطفى ﷺ أثناء سفركم إلى الحرمين الشريفين؟

الجواب: زرتُ مكان ولادة النبي ﷺ ماشيا على قدمي، ولو أمكنني أن أمشي على رأسي لفعلت.

فمكان مولد النبي ﷺ موضع أدب واحترام، وزيارته سعادة عظيمة، والدعاء عنده مستجاب؛ والمكان الذي تشرف بقدومه ﷺ يسمى بـ "المشهد" (أي: المكان الذي تشرف بزيارته أو ولادته ﷺ)، والمشهد هو مكان يستجاب فيه الدعاء بإذن الله تعالى.(7) ومكان ولادة المصطفى ﷺ هو المقام الأول الذي تشرف قبل الجميع بقدومه المبارك، فصار هذا المقام النبيل محطًا لإجابة الدعوات.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا زيارة هذا المقام المبارك مرة بعد أخرى.(8)

طاعة الرسول ﷺ هي من طاعة الله تعالى:

السؤال: هل طاعة الرسول ﷺ هي عين طاعة الله تعالى؟

الجواب: أجل، فقد قال الله تعالى بنفسه في القرآن الكريم: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(9).

وإذا دعا النبي ﷺ أحدا فعليه أن يجيبه حتى ولو كان في الصلاة، واستدل لذلك بالآية الكريمة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.(10) ولا تبطل به صلاته أيضًا.(11) وقد جاء في الحديث أيضًا عن أبي سعيد بن المعلى: "كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ (النبوي)، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ (بعد الصلاة): يا رَسولَ اللَّهِ! إنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فقالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾"(12)(13)

(1) (المذاكرة المدنية: 16 رمضان المبارك، 1441هـ). (2) (المذاكرة المدنية: 1رمضان المبارك، 1441هـ). (3) [المائدة: 15]. (4) (المذاكرة المدنية: 3 ربيع الثاني 1439هـ). (5) (المواهب اللدنية: 36/1). (6) (المذاكرة المدنية: 3 شهر رجب 1440هـ). (7) (فضائل الدعاء، المطبوعة لمكتبة المدينة: ص 136 مختصراً). (8) (المذاكرة المدنية: 4 ربيع الأول 1441 هـ بتصرف). (9) [النساء: 80]. (10) [الأنفال: 24]. (11) (مرقاة المفاتيح: 624/4، تحت الحديث: 2118- مرأة المناجيح: 224/3). (12) [الأنفال: 24].(13) (صحيح البخاري، 163/2، (4474)).

الشيخ محمّد عمران العطاري
رئيس مجلس الشورى لمركز الدعوة الإسلاميّة

الإسلام حصن الضعفاء

توجيهات ربانية

إن الإسلام دين كامل متكامل، يجعل رعاية الضعفاء أمانة في أعناق الأقوياء، ويوفر للضعيف حصنا آمنا. وقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مرارا وتكرارا على ضرورة اعتناء الأقوياء في المجتمع بالطبقات الضعيفة.

تعاليم الإسلام تتسم بالاعتدال والتوازن:

لقد أودع الله سبحانه وتعالى في تعاليم الإسلام من الاعتدال والتناسب والتوازن ما يمنع أي مسلم من الظلم أو الاعتداء على أخيه المسلم، أو على أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى، فليس في رحاب التعاليم الإسلامية مجال قط لأن يتغطرس القوي سكرانًا بنشوة قوته، أو سلطته، أو منصبه، أو ثروته وأمواله، فيعيث في الأرض فسادًا، يقتل من يشاء، ويسلب أموال من يشاء، ويبطش بمن يشاء، ويهدد كرامته.

كل هذا وأكثر منه كان سائدًا في عصر الجاهلية، ولكن الإسلام لم يحرم كل هذه التصرفات المجردة من الأخلاق فحسب، بل شرع لمركبيها حدودا وتعازير في الدنيا ليرتدعوا، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة.

واوليت حقوق الضعفاء في الإسلام أهمية كبيرة، وعادة ما تكون بعض الفئات والأفراد مهمّشين في المجتمع، كالعمال والخدم، والضعفاء والعاجزين، والنساء، وذوي الاحتياجات الخاصة، والأيتام، والمساكين، والمرضى، والفقراء، وغيرهم من الطبقات الضعيفة، ولا يتم تجاهلهم وإهمالهم فحسب، بل يحرمون أيضًا من أبسط حقوقهم الإنسانية الأساسية.

الإسلام يحمي الضعفاء:

بحمد الله يوجد في الإسلام نظام شامل يكفل حماية الضعفاء، ويرفع من قدرهم وكرامتهم، ويرغب في مساعدتهم، ويعتبر الإحسان إليهم جزءا لا يتجزأ من الإيمان. وقد أكد الله سبحانه وتعالى وحبيبه المصطفى ﷺ مرارا وتكرارا على وجوب رعاية حقوق الضعفاء، وعدم الظلم لهم، فإن ذلك من الإثم العظيم.

ولو ألقينا نظرة سريعة إلى ما قبل الإسلام، لظهر لنا بأن تلك الحقبة كان يسود فيها الظلم والاستبداد ضد الضعفاء، وطغت فيها هيمنة القوة المادية الغاشمة.

وحين نتعرّف على قصص ومآسٍ تعذيب الرقيق والعبيد لرأينا أنها تقشعر لها الأبدان عند قراءتها أو سماعها، حيث كان يُنظر إلى الضعفاء والعاجزين وذوي العاهات على أنهم عبء ثقيل على المجتمع.

لذلك جاء الإسلام فكان الملاذ والحماية لكافة هذه الفئات الضعيفة، فجعل خدمتهم عبادة، والإحسان إليهم مثوبة، ومساعدتهم سببا لسعة الرزق وتنزّل النصر؛ كيلا يعتبرهم أحد عبئا، بل ليسارع في خدمتهم رغبة في خيري الدنيا والآخرة، وقد قال النَبيُّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم:

«هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!»[1]

يقول العلّامة الملّا علي القاري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: حَاصِلُهُ أَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَ النَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَقَدَّرَ تَوْسِيعَ الرِّزْقِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ بِبَرَكَةِ الْفُقَرَاءِ، فَأَكْرِمُوهُمْ وَلَا تَتَكَبَّرُوا عَلَيْهِم[2]

ونحن بدورنا أرواحنا فداءٌ لتعاليم الإسلام العظيمة! فما أروع الأسلوب الذي يُرغّب في مساعدة الضعفاء، كي لا نعتبر إغاثة الضعفاء ومن لا مأوى لهم عبثاً، بل نعدها سبيلاً لخير الآخرة وفلاح الدنيا.

ويمكن إدراك مدى حماية الإسلام للضعفاء من خلال هذا الحديث الشريف: عن سيّدنا مُصْعَب بْنِ سَعْدٍ رضي الله تعالى عنهما عن أبيه: قال النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**»[3]

وهذه الرواية تعلّمنا أيضًا درسًا في الإحسان إلى الضعفاء قال العلامة بدر الدين رحمه الله: فبدعائهم ينْصرُونَ وَيُرْزَقُونَ، لِأَنّ عِبَادَتهم ودعاءهم أَشدّ إخلاصًا وَأكْثر خشوعًا لخلوّ قُلُوبهم عن التّعَلُّق بزخرف الدُّنْيَا وَزينتهَا، وصفاء ضمائرهم عَمَّا يقطعهم عَن الله تَعَالَى، جعلُوا هَمهمْ وَاحِدًا (أي: رضى الله تعالى فقط)، فزَكت أَعْمَالهم، وَاجيب دعاؤهم[4]

ويتجلى بوضوح من خلال هذه الواقعة كيف يُرغّب الإسلام اتباعه في حماية الضعفاء وخدمتهم، كما رُوي عن سيّدنا أَنَس رضي الله تعالى عنه قال: **كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم، وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»**[5].

وَمَعْنَى لَعَلّ فِي قَوْلِهِ ﷺ لَعَلَّكَ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فَيُفِيدَ القَطْعَ وَالتَّوْبِيخَ [6].

يقول العلّامة الملّا علي القاري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: «فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم» أي: لِطَلَبِ العِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ «وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ» أَيْ: يَكْتَسِبُ أَسْبَابَ الْمَعِيشَةِ، فَكَأَنَّهُمَا كَانَا يَأْكُلَانِ مَعًا «فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ» أي: فِي عَدَمِ مُسَاعَدَةِ أَخِيهِ إِيَّاهُ فِي حِرْفَتِهِ أَوْ فِي كَسْبِ آخَرَ لِمَعِيشَةٍ، فَقَالَ النَّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ» أي: أَرْجُو أَوْ أَخَافُ أَنَّكَ مَرْزُوقٌ بِبَرَكَتِهِ لَا أَنَّهُ مَرْزُوقٌ بِحِرْفَتِكَ فَلَا تَمْنُنْ عَلَيْهِ بِصَنْعَتِكَ[7].يقول العلّامة محمّد علي بن محمد علان الشافعي رحمه الله تعالى: «فشكا المحترف أخاه» في ترك الاحتراف «إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم» فقال مسليًا له وفي انفراده بالاحتراف ترك أخيه الأسباب (فلعلك ترزق به) أي: فلعلّ قيامُك بأمره سببٌ لتيسير رزقك، لأنّ الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه [8].

ويقول الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي رحمه الله تعالى: إن هذا الحديث دليل جلي على أن كفالة الفقراء، ولا سيما الأقارب منهم، وهي من أفضل أسباب البركة في الرزق. [9]

وعن سيّدنا أبي الدرداء رضي الله عنه يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «**أَبْغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**»[10]

ويقول العلّامة الملّا علي القاري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: «ابْغُونِي» أي: اطْلُبُوا رِضَائِي «فِي ضُعَفَائِكُمْ» أي: فُقَرَائِكُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَغْنِيَائِكُمْ بِالْمُسَاعَدَةِ لَدَيْهِمْ «فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ» أي: رِزْقًا حِسِّيًا أَوْ مَعْنَوِيًا «أَوْ تُنْصَرُونَ» أي: عَلَى الْأَعْدَاءِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ[11]

أيها الأحبة!

وفي الختام أقول: الإسلام هو دين كامل ولذلك لم يجعل القوة وسيلةً للظلم ، بل جعلها أمانة إلهية. وهو لا يرى الضعف مدعاة للاحتقار والازدراء، بل جعله محلاً للحماية والرعاية.

واليوم، إن أردنا إحياء روح التعاليم الإسلامية على المستوى الجماعي، فلا بد لنا أن نكون درعا للضعفاء، وسندا للأيتام، وأملا للمحتاجين، وغوثا للمظلومين. وتذكروا دائما! أن المجتمع الذي يأمن فيه الضعفاء، هو المجتمع الجدير بنصر الله تعالى وبركته ورحمته.

فهلموا نعاهد الله على تسخير قوتنا، ومناصبنا، ومواردنا، ونفوذنا من أجل مساعدة الضعفاء، وصون حقوقهم، وحفظ كرامتهم وعزة أنفسهم. وذلك لأن أمن المجتمع وسلامته يكمن في حماية ضعفائه.

---

(1) (صحيح البخاري: 280/2، (2896).
(2) (مرقاة المفاتيح: 84/9، (5232).
(3) (سنن النسائي: ص 518، (3175).
(4) (عمدة القاري: 217/10، بتصرف).
(5) (سنن الترمذي: 154/4، (2351).
(6) (مرقاة المفاتيح: 171/9).
(7) (مرقاة المفاتيح: 171/9، بتصرف).
(8) (دليل الفالحين: 287/1-288).
(9) (أشعة اللمعات: 262/4).
(10) (سنن أبي داود: 46/3، (2594).
(11) (مرقاة المفاتيح: 99/9، (5246).

الشيخ أيمن بكار

هدي رسول الله ﷺ في التعامل مع الشباب

في حضرة النبوة تظهر الرحمة في هيئة بشر، وتتجسد الحكمة في هيئة إنسان، فتتحول القلوب القاسية إلى أنهار من نور، والطباع الغليظة إلى نفحات زهر وعطور، والمراهقة الطائشة إلى همة عالية وإنجازات وحضور، إنها مدرسة النور المحمدي والهدي النبوي ذات الجلال والجمال والكمال والبهاء، وإن من أعجب ما تتجلى فيه هذه الرحمة المحمدية والحكمة النبوية (احتواء الشباب والتعامل معهم والرقي بهم) خاصة أن الشباب هم طاقة الأمم، ومفتاح نهضتها، فهم الأمل والمستقبل، والتغير والتطوير والإبداع، وكانوا من أوائل من أسلم مع النبي عليه الصلاة والسلام، وحمل رسالة الإسلام هم الشباب، فكان ﷺ يثق بهم، ويعتمد عليهم، ويوكل المهام العظام إليهم، ويتلطف في إرشادهم وتصحيح أخطائهم، ويراعي الفروق بينهم، مما يتيح لكل واحدٍ منهم مساحة تظهر فيها قدراته ومواهبه بحسب اختلافهم وتنوعهم فيكمل بعضهم بعضًا.. لذلك كان النبي ﷺ يوصي بالشباب، وكان الصحابي الجليل سيدنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه إذا رأى الشباب قال: **(مرحبًا بوصيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أَوْصَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُوَسِّعَ لَكُمْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَنْ نُفَهِّمَكُمُ الْحَدِيثَ)**،[1] ونجد من هدي النبوة:

تعزيز قدراتهم وتمكينهم:

فكان ﷺ يعرف قدرات من حوله من الشباب، فهو ﷺ أعرف الناس بحقائق الأشياء، فيصف كل واحد بما يستحقه، ويعطي كل منهم فرصته، عَنْ سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلاَلِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ.** (رضي الله عنهم أجمعين)[2]

وفي رواية ابن ماجه: **وأقضاهم عليّ بن أبي طالب** (رضي الله عنه).[3]

وفي موقف آخر يطلب سيدنا أبو ذر رضي الله عنه الإمارة فلم يجبه ﷺ إلى طلبه ويقول له: **يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الذي عليه فيها.**[4]

وأما أسامة بن زيد الذي لم يبلغ العشرين [5] عقد له لواء الإمارة على جيش فيه كبار الصحابة منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَيْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ.**[6]

وكان سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه من الشباب السابقين إلى الإسلام، أرسله النبي ﷺ بعد العقبة الأولى إلى المدينة ليعلم أهلها، فانتشر الإسلام في المدينة بجهوده، وعندما استشهد سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه في أحد وعمره لم يتجاوز الأربعين وقف النبي صلى الله على جثمانه وقرأ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾﴾[7].

ضبط حماس الشباب بالشرع والوسطية:

الشباب همة عالية وعزيمة قوية، فإذا ما توجهوا إلى أمر توجه إليه بكليتهم، وبكل طاقتهم، فعلّمهم سيدنا النبي ﷺ التوازن بين العبادة والدنيا، والانضباط بالوسطية والاعتدال، فعند سماعه ﷺ لرغبة شباب بالتفرّغ للعبادة تمامًا، أبعد عنهم غلوّ الرهبانية: قال ﷺ لهم: «أصلي وأنام، وأصوم وأفطر وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني».[8] لفت بذلك إلى أن منهجه ﷺ وسنته تشمل العبادة والعمل والزواج والاستراحة، وتكرر الموقف مع صاحب الهمة العالية، كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جمعت القرآن فقرأته في ليلة فقال رسول ﷺ: (إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تملّ، اقرأ به في شهر»، قال: قلتُ: يا رسول الله! دعني أستمتع من قوتي ومن شبابي، قال: «اقرأه في عشرين».

قال: أيْ رسولَ الله! دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: «اقرأه في عشر».

قال: أيْ رسولَ الله! دعني أستمتع من قوتي ومن شبابي. قال: «اقرأه في سبع».

قلت: أيْ رسولَ الله! دعني أستمتع من قوتي، فأبى).[9]

الاستماع لقضاياهم ومعالجتها:

فقد كان ﷺ متفهماً لهمومهم ومدركاً لرغباتهم، ففي حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال:

إنَّ فتًى شابًّا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! ائْذَنْ لي بالزِّنا، فأقبَلَ القَومُ عليه فزَجَروه وقالوا: مَهْ، مَهْ! فقال: ادْنُهْ، فدَنا منه قَريبًا، قال: فجَلَسَ:

قال: أتُحِبُّه لأُمِّكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لأُمَّهاتِهم.

قال: أفتُحِبُّه لابنتِكَ؟ قال: لا واللهِ، يا رسولَ اللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لبَناتِهم. قال: أفتُحِبُّه لأُختِكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لأَخَواتِهم.

قال: أفتُحِبُّه لعَمَّتِكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لعَمَّاتِهم.

قال: أفتُحِبُّه لخالتِكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لخالاتِهم.

قال: فوَضَعَ يدَه عليه وقال: اللَّهُمَّ اغفِرْ ذَنبَه، وطَهِّرْ قَلبَه، وحَصِّنْ فَرْجَه، قال: فلمْ يَكُنْ بعدَ ذلك الفَتى يَلتفِتُ إلى شيءٍ.[10]

فانظر إلى اتساع قلب النبي ﷺ ورحمته بالناس، مع شاب يطلب فعل فاحشة من أقبح الفواحش، فاحتواه وناقشه بعقلية ومنطقية ولم ينهره أو يزجره، وكان ﷺ يحرص على معالجة مثل هذه المشكلة التي تعرض في أي مجتمع قبل ظهورها، فيحث على الإحصان والإعفاف، كما في حديث سيدنا عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:

يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء.[11]

مشاركة الشباب في أنشطتهم:

كان النبي ﷺ يدعوا الشباب إلى ممارسة الرياضة ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شارك النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الشباب في ذلك، فعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»)[12]

تربيتهم والترقي بهم باللطف والحنو:

إن من أعظم ما امتاز به الهدي النبوي أنه لم يكن قائماً على التوبيخ الفج، ولا على كسر النفوس، وإنما تربية بالحكمة، وإصلاحاً بالرفق، وانتشالاً للقلوب من الزلل إلى الكمال، فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «**بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت واثكل أمياه! ما شأنكم؟ تنظرون إلي. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتّوني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه.**

فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني. قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»،[13]

كان ﷺ يدرك طبيعة الشباب، وما قد يعتريهم من دوافع الفطرة، ونزعات النفس، ولحظات الغفلة، فيعالجها بأسلوب يوقظ الضمير، ويحفظ الكرامة، ويغرس الحياء، دون أن يفضح أو يجرح أو ينفر، ومن أروع الشواهد على هذا المنهج النبوي التربوي الفريد قصة الصحابي خوات بن جبير رضي الله عنه، حيث قال خوات بن جبير رضي الله عنه: **(نزلنا مع رسول الله ﷺ مرَّ الظهران، فخرجت من خبائي، فإذا أنا بنسوة يتحدثن، فأعجبنني، فرجعت فاستخرجت عيْبَتي، فاستخرجت منها حُلة فلبستها، وجئت فجلست معهن.**

وخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال: أبا عبد الله، ما يجلسك معهن؟ فلما رأيت رسول الله ﷺ هبته، واختلطت، قلت: يا رسول الله! جمل لي شرد، وأنا أبتغي له قيدا، فمضى، واتبعته، فألقى رداءه ودخل الأراك، كأني أنظر إلى بياض متنه في خضرة الأراك، فقضى حاجته وتوضأ، فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره، فقال: أبا عبد الله ما فعل شراد جملك؟ ثم ارتحلنا، فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال: السلام عليك

يا أبا عبد الله! ما فعل شراد ذلك الجمل؟

فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة، واجتنبت المسجد، والمجالسة إلى النبي ﷺ، فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد، فأتيت المسجد فقمت أصلي، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره، فجاء فصلى ركعتين خفيفتين، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: طول أبا عبد الله! ما شئت أن تطول، فلست ذاهبًا حتى تنصرف، فقلت في نفسي: والله لأعتذرن إلى رسول الله ﷺ، ولأبرئن صدره.

فلما انصرفت، قال: السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد ذلك الجمل؟ فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت، فقال: رحمك الله (ثلاثا)، ثم لم يعد لشيء مما كان).[14]

هذه القصة تمثل مدرسة كاملة في التربية النبوية، حيث جمع فيها النبي ﷺ بين الملاطفة والتلميح، وإحياء الضمير، وحسن المتابعة، ثم ختم ذلك كله بالدعاء والصفح، فخرج الصحابي الشاب من هذا الموقف بقلب أطهر ونفسٍ أزكى ومحبة أعظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم..

إنها مدرسة النور المحمدي والهدي النبوي، كانت ثمرة روحٍ يملؤها الحب الإلهي والرحمة الربانية، ولا تطنن عزيزي القارئ أن هذه المدرسة قد اندثرت، أو أن معالمها قد ضاعت، بل ما تزال أنوار محمد ﷺ تسري في الأمة من خلال أولياء الله الصالحين، وحملة الميراث النبوي الكريم، ومن أعظم الشواهد على ذلك سيدي وقرة عيني فضيلة الشيخ المربي والداعية الكبير محمد إلياس العطار القادري حفظه الله ونفعنا به، فما رأيت مثل لطافته ورقته ورحمته وابتسامته وسعة صدره، وحنوه، وشفقته بالخلق جميعاً، فهنيئاً لمن التقى به، وانتسب إليه واتبع طريقته، طريق الصالحين على منهاج النبوة..

---

(1) (شعب الإيمان: 249/3، (1610)). (2) (سنن الترمذي: 435/5، (3815)). (3) (سنن ابن ماجة: 102/1، (154)). (4) (صحيح مسلم: صـ 783، (1825)). (5) (عن الزهري قال: سار أسامة في ربيع الأول حتى بلغ أرض الشام وانصرف، فكان مسيره ذاهبا وقافلا أربعين يوما. وقيل: كان ابن عشرين سنة. (تاريخ الإسلام للذهبي: 15/2)،(سير أعلام النبلاء: 374/2)).(6) (صحيح البخاري: 542/2، (3730)). (7) (المستدرك على الصحيحين: 206/4، (4957)، مأخوذا). (8) (صحيح مسلم: صـ 558، (1401)). (9) (المصنف لعبد الرزاق: 217/3، (5975)).(10) (مسند الإمام أحمد: 22211). (11) (صحيح البخاري: 5066). (12) (صحيح البخاري: 2899). (13) (صحيح مسلم: 537).(14) (المعجم الكبير للطبراني: 4146).

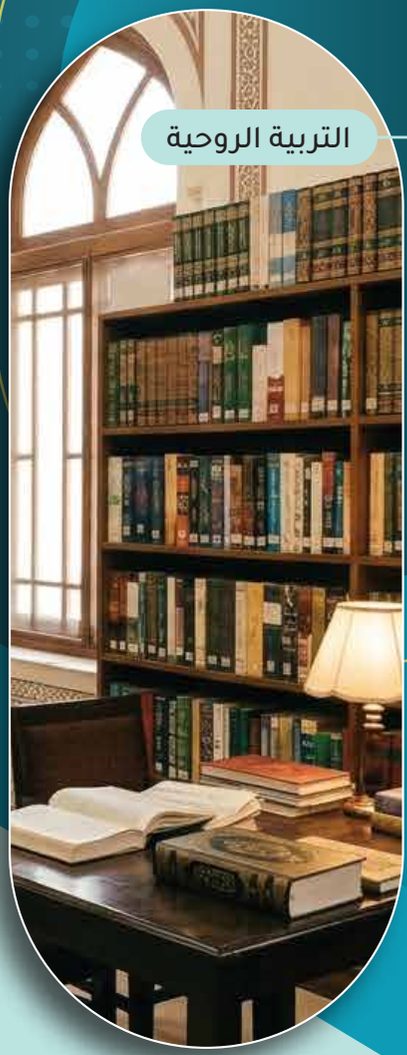

العلم بين التلقّي والتصدّر

(الجزء الأول)

الشيخ طارق المحمد

الحمد لله الذي رفع أهل العلم درجات، وجعلهم ورثة الأنبياء وحملة شريعته، فقال سبحانه:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.[1]

وجعل سؤالهم طريق النجاة من الجهل والانحراف، فقال عز وجل:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي ترك أمته على المحجة البيضاء، وربّى أصحابه على العلم قبل القول والعمل، حتى أصبحوا أئمة الهدى ومصابيح الدجى، ثم حمل عنهم التابعون وتابعوهم هذا الدين بالسند المتصل جيلاً بعد جيل، حتى وصل إلينا غضاً طرياً كما نزل أما بعد:

فهذه توصيات على منهج العلماء في تلقي المعلومات والفهم في الدين على طريقة الربانيين، وهي تنبيهات من ضلالات الثقافة المعاصرة الداعية إلى تجريد العلم عن الأدب ونبذ التلقي عن العلماء من خلال تهوين الأخذ من كل أحد ظهر بزي العلماء، أو تكلّم بكلامهم، فتمييزاً لما قد يختلط على بعض المبتدئين نقول:

أولاً: معالم المنهج الرباني في اختيار العلماء والتحذير من الاغترار بثقافة الشاشات:

فإن من أعظم الفتن التي ابتُلي بها الناس في هذا العصر أن كثيراً منهم توهّم أن سهولة الوصول إلى المعلومة تَعني امتلاك العلم، وأنّ كثرة القراءة تُغني عن التلقّي، وأن تصفّح المواقع ومتابعة المقاطع المختصرة يجعل المرء قادراً على الإفتاء والترجيح والاعتراض على أئمة الإسلام، وهذه شبهة خطيرة قلبت موازين العلم، حتى رأينا من يتصدر للكلام في دين الله وهو لم يجلس بين يدي العلماء، ولم يعرف طرائق الاستدلال، ولم يذق مرارة الطلب، ولم يتأدب بآداب العلماء.

وقد كان السلف الصالح يفرقون بين العلم وبين الثقافة، وبين التلقي وبين الاطلاع، وبين العالم الرباني وبين الخطيب والناصح؛ لأنّ العلْم عنْدهم نورٌ يقذفه الله في القلب، وليس مجرّد محفوظاتٍ تردّدها الألسنة، ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "الْعِلْمُ عِلْمَانِ عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ".[3]

ومن هنا كانت قضية اختيار من يؤخذ عنه العلم من أعظم قضايا الدين؛ لأن فساد المنهج في التلقي يورث فساداً في الاعتقاد والعبادة والسلوك، ولذلك قال الإمام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى:

"إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم".[4]

وهي كلمة عظيمة جعلت التلقّي جزءاً من حقيقة التديّن، فلا ينفصِل الدين عن رجاله الأمناء الذين حملوه بالأسانيد المتصلة، والعمل الصالح، والأخلاق الزكيّة.

وليس المقصود بهذا تعظيم الأشخاص لذواتهم، وإنما تعظيم المنهج الذي حفظ الله به هذا الدين؛ إذ جعل العلماء الربانيين أمناء على الوحي، يميّزون صحيحه من سقيمه، ومحكمه من متشابهه، وعامّه من خاصه، ومطلقه من مقيّده، فلا يُترك هذا التراث العظيم لكل متعجّل أو متصدّر أو صاحبِ هوى.

ومن هنا جاءت عناية العلماء بوضع الضوابط التي يُعرف بها العالم الرباني، والتحذير من أهل الأهواء، والمتعالمين، وأرباب الشهرة والجدل، حتى لا تختلط الهداية بالضلالة، ولا السنة بالبدعة، ولا العلم بالدعاية.

ثانياً: التلقي أصلٌ من أصول حفظ الدين

لم يكن انتقال العلم في الحضارة الإسلامية قائماً على تداول الكتب وحدَها، ولا على كثرة القراءة، وإنما كان يقوم على التلقّي، وهو أن يأخذَ الطالبُ العلمَ عن شيخٍ متقِن، تلقّاه عمّن قبلَه، حتى يتّصل السند برسول الله ﷺ.

وهذه الخصيصة من أعظم خصائص الأمة الإسلامية، ولذلك قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" (5)

ولهذا بقيت علوم القرآن، والحديث، والفقه، والسلوك، واللغة، محفوظة بالأسانيد والرواية والمشافهة، قبل أن تحفظ في بطون الكتب.

ومن أبدع من تكلم في هذا الباب الإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي، إذ ذكر في كتابه الموافقات أن للعالم الذي يؤخذ عنه العلم علاماتٍ يعرف بها، وجعل أولها: أن يكون عاملاً بعلمه، موافقاً قوله فعله، وثانيها: أن يكون قد رباه الشيوخ، ولازمهم، وأخذ عنهم العلم بالتلقّي، وثالثها: أن يكون مقتدياً بمن أخذ عنهم، متأدباً بآدابهم، سائراً على نهجهم. ثم بيّن أن هذا هو شأن السلف الصالح جيلاً بعد جيل، وأنه الطريق الذي به حفظ الله الشريعة من التحريف والانتحال. (6)

وليس هذا مجرد تنظيم تعليمي، بل هو منهج شرعي دلّ عليه القرآن والسنة؛ فإن الله تعالى أمر بسؤال أهل الذكر، ولم يأمر كل أحد أن يستقل بفهم النصوص بعيداً عن أهلها، كما أن النبي ﷺ ربّى الصحابة بالمجالسة والملازمة، ثم ربّى الصحابةُ التابعين على ذلك، وهكذا انتقل العلم بالتربية قبل الرواية، وبالأدب قبل الجدل.

ولهذا كان علماء السلوك يقرّرون أن العلم الحقيقي لا ينفصل عن التربية؛ لأن النفس قد تحفَظ النصوص، ولكنها تُفسد في فهمها إن لم تُهذّب بالتواضع والإخلاص، وهذا الفساد والاعوجاج يحتاج لتقويم ولا يتم إلا بالشيوخ العارفين؛ ولذلك قال الإمام أحمد زروق رحمه الله تعالى في قواعده: أخذ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخْذه دونهم ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾.(7) ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾(8). فلزمت المشيخة سيّما والصحابةُ أخذوا عن رسول الله ﷺ وقد أخذ عن جبريل...ا هـ.(9)

وهذا معنىً تؤيّده التجربة العلمية عبر القرون؛ إذ كان العلماء يربّون تلامذتهم على الورع، والخشية، والأدب، قبل أن يربّوهم على كثرة المعلومات.

ومن هنا ندركُ أن العلم في الإسلام ليس مجرد انتقال معلومات، وإنما انتقال منهج، وروح، وورع، وفهم، وأدب، وأن العلم كما قال القوم: روح تنفخ لا مسائل تُنسخ. وأن الكتب مهما عظُمت لا تستطيع وحدها أن تصنع العلماء، وإنما تصنعهم صحبة العلماء، وطول الملازمة، وحسن الاقتداء، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: "تعلّم الأدبَ قبل أن تتعلم العلم". (10)

لماذا..؟...لأن الأدب هو الوعاء الذي يحفظ العلم من أن يتحول إلى كِبْر أو جدَال أو وسيلة للرياسة.

ولهذا كان السلف يرحلون الشهور والسنين لسماع حديث واحد أو مسألة واحدة، لا لعدم وجود الكتب، وإنما لأنهم يعلمون أن بركة العلم في صدور الرجال، وأن نور الفهم ينتقل بالمجالسة كما تنتقل الألفاظ بالرواية، وأن التربية العملية جزءٌ لا ينفصل عن حقيقة التعلم.

ومن هنا كان انفصال العلم عن التربية بداية ظهور المتعالمين، كما أن انفصال الكتب عن العلماء بداية انتشار الفوضى العلمية، فإذا اجتمع ضعف التربية مع سهولة النشر وطلب الشهرة، خرج جيل يظن أن امتلاك منصة أو قناة أو حساب إلكتروني يؤهله للكلام في دين الله، مع أن ميزان الشريعة لا يزال كما كان: العلم يؤخذ عن أهله، والأمانة لا تثبت إلا بالتلقي، والوراثة النبوية لا تنال بالادعاء، وإنما باللازمة والعمل والإخلاص.

ثالثاً: صفات العالم الرباني بين العلم والعمل

إذا كان التلقي الصحيح هو الباب الذي يدخل منه طالب العلم إلى ميراث النبوة، فإن أول ما يميّز العالم الرباني بعد ذلك أن يكون علمه شاهداً لعمله، وعمله ترجماناً لعلْمه؛ إذ لا قيمة لعلم لا يورث صاحبه خشيةً، ولا لسانٍ يحسن البيان إذا خالفه واقع الإنسان.

ولهذا جعل الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى أول علامة من علامات العالم الذي يؤخذ عنه العلم: أن يعمل بما علم، حتى يكون قوله مطابقاً لفعله، فإن كان مخالفاً له فليس بأهل أن يؤخذ عنه. (11)

ثم ذكر أن من تمام أهليته أن يكون قد ربّاه الشيوخ، وتأدب بآدابهم، واقتفى آثارهم، لأن العلم إذا انفصل عن التربية تحول إلى معلومات مجردة لا تصنع الرجال ولا تحفظ الدين.

وهذا المعنى أصلٌ راسخ في القرآن الكريم؛ إذ ذمّ الله تعالى من يأمر بالخير وينسى نفسه فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾(12)، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾(13)

ولم يكن السلف يفهمون هذه الآيات على أنها دعوة لترك الدعوة إذا وقع الإنسان في التقصير، وإنما كانوا يعدّونها تحذيراً شديداً من أن يتحول العلم إلى وسيلة للرياسة، أو إلى ألفاظ تزين المجالس، بينما يبقى القلب بعيداً عن آثارها.

ولذلك صرحوا بذلك في كتبهم وشروحهم، كما في الإحياء ورسالة أيها الولد للغزالي والنصيحة الكافية للشيخ أحمد زروق رحمهما الله تعالى، فالعلم الذي لا يقترن بالخوف حجة على صاحبه، ولذلك كان علماء التربية والسلوك يرون أن أول ثمرات العلم هي الخشية؛ لأن الله سبحانه لم يقل: إنما يخشى الله أكثر الناس قراءة، ولا أكثرهم جدلاً،

وإنما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[14]. أي العلماء العاملون الربانيون، فالخشية هي الميزان الذي يزن به صدق العلم، وكل علم لم يزد صاحبه تواضعاً لله، وخوفاً منه، ورحمةً بخلقه، فهو علم يحتاج صاحبه إلى مراجعة نفسه قبل أن يراجع غيره.

وكل علم لا يورث الخشية فليس بعلم نافع؛ لأن المقصود من العلم إصلاح القلب قبل إصلاح اللسان، وإحياء النفس قبل الانتصار في الجدل والمناظرات.

التربية قبل المعلومات:

ومن أعظم ما امتازت به مدارس العلماء عبر القرون أنها لم تكن تخرّج حفاظاً للنصوص فحسب، وإنما كانت تخرّج رجالاً يحملون أخلاق العلم وآدابه.

ولهذا كان الطالب يمكث سنوات طويلة في خدمة شيخه، يراقب عبادته، وسمته، وورعه، قبل أن ينقل عنه المسائل، حتى قال بعض السلف: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم. [15]

ولم يكن هذا من باب التقديس للأشخاص، بل لأن العلم الشرعي لا ينفصل عن الأخلاق التي يحملها صاحبه؛ إذ كيف يؤتمن على بيان الحلال والحرام من لم يؤتمن على نفسه؟

ومن هنا نفهم لماذا كان الأئمة يحرصون على سؤال الناس عن دين الشيخ وورعه وأمانته كما يسألون عن حفظه وإتقانه؛ لأن الانحراف الأخلاقي كثيراً ما يسبق الانحراف العلمي، فإذا ضعف الإخلاص دخل الهوى، وإذا دخل الهوى فسدت الأحكام، ثم أصبح العلم تابعاً للرغبات لا للنصوص.

العلم بالتلقي لا بالادعاء:

ومن أعظم ما قرره الإمام الشاطبي أن العالم لا يبلغ رتبة الإمامة بمجرّد كثرة المطالعة، وإنما يبلغها إذا شهد له شيوخه، وأخذ عنهم، وتأدب بآدابهم، وصار امتداداً لمنهجهم.

وهذا المعنى هو الذي جعل الأمة الإسلامية تحفظ علومها أربعة عشر قرناً دون انقطاع، إذ لم يكن أحد يدّعي الإمامة بنفسه، وإنما كانت الأمة تعرف علماءها باعتراف العلماء لهم، كما قال أهل الحديث: إن هذا العلم دين، فلا يُسلّم زمامه لكل من أحبّ الشهرة أو أحسن الخطابة.

ومن هنا كان العلماء يحذّرون من ظاهرة التصدّر قبل التأهل، لأنها لا تفسد صاحبها وحده، بل تفسد أجيالاً تتعلق به، وتظن أن الجرأة على الكلام دليل على الرسوخ في العلم، مع أن الحقيقة على العكس؛ فإن الراسخين أشد الناس هيبةً من الفتوى، وأكثرهم خوفاً من القول على الله بغير علم.

رابعاً العلماء ورثة الأنبياء... لا ورثة الشهرة:

لقد ابتلي عصرنا بخلطٍ عجيب بين الانتشار والإمامة، وبين عدد المتابعين وعدد التلاميذ، وبين جمال الإلقاء ورسوخ الفقه.

فكم من رجلٍ ملأ الشاشات، وهو عند أهل العلم مجهول، وكم من عالمٍ ربانيٍ ملأ الأرض علماً ولم يعرفه إلا طلابه.

ولهذا قال الإمام الأوزاعي: "إِنّ هَذَا الْعِلْمَ كَانَ كَرِيمًا تَلاقَاهُ الرِّجَالُ، فَلَمَّا صَارَ فِي الْكُتُبِ صِرْتَ تَجِدُهُ عِنْدَ الْعَبْدِ وَالأَعْرَابِيّ"[16] وفي لفظ: " ما زال هذا العلم عزيزا يتلقاه الرجال حتى وقع في الصحف فحمله أو دخل فيه غير أهله.[17]

ولم يكن الأوزاعي يذم الكتب، وإنما كان يحذر من انفصال الكتاب عن المعلِّم، والعلم عن التربية، والرواية عن الفهم.

فإذا كان هذا تحذيرُ إمام من أئمة التابعين في زمن كانت الكتب فيه نادرة، فكيف لو رأى زماناً يستطيع فيه كل إنسان أن يفتح منصةً رقمية، فيفتي في العقائد، ويخوض في الدماء، ويجرّح العلماء، ويؤصّل البدع، ويظن نفسه مجدداً للأمة؟

إن المشكلة ليست في الوسائل؛ فالوسائل نعمٌ عظيمة إذا أُحسِن استخدامُها، وإنما المشكلة في أن تتحول الوسيلة إلى بديل عن العلماء الربانيين، وأن يصبح محرّك البحث شيخاً، والمقطع المختصر مدرسةً، والمنصة الرقمية بديلاً عن حلقات العلم.

ولا ريب أن التقنية نعمة من نعم الله إذا استعملت فيما ينفع، فهي تقرّب الكتب، وتيسر الوصول إلى الدروس، وتختصر المسافات، ولكنها لا تستطيع أن تمنح صاحبها ملكَة الفقه، ولا نورَ الفهم، ولا أدبَ الطلب، ولا تزكيةَ النفس؛ لأنّ هذه الأمور لا تزال تُكتسب باللازمة، وطول الصحبة، والتدرج في الطلب، كما كان شأن العلماء في كل عصر.

ومن هنا نقول ما يذكره أشياخنا رضي الله عنهم: ليس كل من جمع المسائل صار فقيهاً، ولا كل من حفظ الأقوال صار عالماً، وإنما الفقيه من رزقه الله نوراً يضع به كل دليل في موضعه، ويعرف به مقاصد الشريعة، ويجمع بين النصوص، ويحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، دون إفراط ولا تفريط.

وبهذا يظهر الفرق العظيم بين الثقافة الدينية التي يستطيع كثير من الناس تحصيلها، وبين العلم الشرعي الراسخ الذي لا يناله إلا من سلك سبيل أهله، وصبر على مشقته، وتأدب بآدابه، وصدق الله في طلبه.

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الفهم والصدق والعمل وأن يكرمنا بحسن الختام عند انتهاء الأجل...وهذه لمحة مهمة لم تنته في مقالنا هذا وأرجأنا تمامها إلى مقالنا القادم في هذه المجلة وما بقي من الوصايا والتحذيرات الهامة التي ينبغي ألا نهملها، وخاصة فيما يتعلق بين العالم والداعية إلى نفسه، وبيانِ هيبة الفتوى عند السلف، وأن العلم لا يؤخذ عن كل أحدٍ، والمسلم بين نعمة التقنية وفتنة ثقافة الشاشات.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

---

(1) [المجادلة: 11]. (2) [النحل: 43]. (3) (أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح، واسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأخرجه ابن أبي شيبة وغيره). (4) (مقدمة صحيح مسلم: صـ 19) و(الكفاية في علم الرواية: صـ 113). (5) (المرجع السابق). (6) الموافقات: 142/1 وما بعدها). (7) [العنكبوت 49]. (8) [لقمان 15].(9) (قواعد التصوف: صـ 54). (10) (حلية الأولياء: 330/6). (11) (الموافقات: 141/1). (12) [البقرة: 44].(13) [الصف: 2-3]. (14) [فاطر: 28]. (15) (مقدمة تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة: صـ 31، دار البشائر الإسلامية). (16) (الكامل في ضعفاء الرجال : 1/174). (16) (مسند الدارمي ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق وأخرجه الخطيب البغدادي في كتابه تقييد العلم).

محمد إلياس السكندري
كاتب في إدارة الشؤون العربية

أساسُ العمران وروحُ الشريعة
(العدل في الإسلام)

إنّ من أعظم القيم التي جاء بها الإسلام، وأشدِّها أثرًا في حياة الأفراد والمجتمعات: العدل

فهو ليس مجرد مفهوم نظري يُذكر في الكتب، أو يكُتب في الكراسات والدفاتر، ولا شعارًا أخلاقيًا يُرفع في الخطابات والبيانات، بل هو ميزان الحياة الذي تستقيم به الأمور، وتُصان به الحقوق، وتُؤدّى بها الواجبات، ويأمن به الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

ولهذا جعل الله تعالى العدل من المقاصد العظمى التي قامت عليها الشرائع السماوية، وأمر به في كتابه، وكرّره في مواضع عديدة تأكيدًا على مكانته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1].

فهذه الآية العظيمة جمعت أصول الخير كلها، وبدأت بالعدل قبل غيره؛ لأنه أساس الاستقامة، وبدونه تضيع الحقوق وتفسد المجتمعات، مهما كثرت الأنظمة أو قويت القوانين.

وإذا تأمّل الإنسان واقع الناس اليوم، وجد أن كثيرًا من الاضطرابات التي يعيشها العالم لا يرجع في حقيقته إلى نقص المال أو ضعف الموارد، بل إلى غياب العدل في مواقعه الصحيحة؛ في العلاقات، وفي الأحكام، وفي التعاملات اليومية وانتشار الجور والظلم حتى في المجتمع الإسلامي.

ومن هنا تتضح مكانة العدل في الإسلام، لا كقيمة مثالية بعيدة، بل كركيزة أساسية تقوم عليها الحياة كلها، ومنهج يُمارَس في الواقع قبل أن يُقال في الكلام أو يكتب في الكتب.

فالعدل في الإسلام ليس كلمة تُحفظ أو تعريفًا يُتلى، بل هو ميزان دقيق للحياة، يُقوِّم السلوك، ويضبط الحكم، ويمنع الانحراف في القول والعمل.

معنى العدل:

في اللغة: (الْعَدْلُ) ضِدُّ الْجَوْرِ [2]

العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا وهو عادل [3]

أما في المفهوم الشرعي: فهو أوسع وأعمق من ذلك؛ إذ يعني: إعطاء كل ذي حق حقه، في كل ما يتعلق بالإنسان من قولٍ أو فعلٍ أو حكمٍ أو تعامل، بعيدًا عن الهوى والمحاباة والجور والظلم.

كما قالوا في حده: العدل: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا.

العدل: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط [4]

وبالاختصار إنّ العدل هو الاستقامة والميل إلى الحق، ووضع الشيء في موضعه الذي يليق به دون زيادة أو نقصان، ولذلك فإن العدل في الشريعة الإسلامية الغراء ليس مجرد مساواةٍ شكلية بين الناس، إذ قد تكون المساواة في بعض المواضع ظلمًا لا عدلًا، وإنما العدل هو وضع كل شيء في موضعه وإعطاء كل ذي حقٍ حقه بحسب حاله واستحقاقه.

ومن هنا يتبين أن الواجب هو الدعوة إلى العدل لا إلى المساواة المطلقة؛ لأن المساواة قد تكون عدلًا إذا تساوت الأحوال والاستحقاقات، وقد تكون جورًا وظلمًا إذا اختلفت الظروف والحاجات.

ولا يقتصر مفهوم العدل على تنظيم علاقة الإنسان بغيره فحسب، بل إن جذره الحقيقي يبدأ من داخل الإنسان نفسه؛ إذ لا يستقيم عدلُه مع الآخرين ما لم يستقم أولًا في داخله.

ومن هنا يظهر أن العدل ليس علاقة بين الإنسان وغيره فقط، بل هو يبدأ من داخل الإنسان نفسه؛ حين يعدل في حياته اليومية بين واجباته ورغباته، وبين شهواته وعقله، وبين دنياه وآخرته.

فإذا استقام هذا الميزان في داخل الإنسان، انعكست استقامته على الخارج، وإذا اختلّ، اختلّت معه كل تفاصيل الحياة.

مكانة العدل في الإسلام:

تتجلى مكانة العدل في الإسلام أنه ليس قيمة أخلاقية ثانوية، بل هو أصل من أصول هذا الدين، وغاية من غاياته الكبرى التي لا يقوم المجتمع ولا يستقيم إلا بها؛ إذ يرتبط بجوهر الرسالة الإسلامية ذاتها، ولذلك لم يأتِ الإسلام ليهذب السلوك فقط، بل ليقيم ميزانًا شاملاً للحياة، يكون فيه الحق هو الحاكم، والإنصاف هو القاعدة، والظلم مستبعدًا بكل صوره.

وقد بيّن القرآن الكريم أن إرسال الرسل وإنزال الكتب لم يكن عبثًا، بل لتحقيق هذا المقصد العظيم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[5].

فالمقصود من الرسالات السماوية كلها أن يقوم الناس بالعدل، وأن تستقيم حياتهم على أساسه، لا على الهوى أو القوة أو المصلحة الشخصية أو الفردية فقط.

ولذلك كان العدل صفةً من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو العدل الذي لا يظلم أحدًا، ولا يضيع عنده حقّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[6].

ومن هنا كان العدل في الإسلام عبادةً قبل أن يكون سلوكًا، وقربةً إلى الله تعالى قبل أن يكون نظامًا اجتماعيًا، ولذلك اقترن بالإيمان والتقوى في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[7] وقوله: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.[8]

وقد رفع الإسلام شأن العدل، وجعل أهله من أحب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[9]

ثم بيّن النبي ﷺ عظيم منزلتهم عند ربهم، فقال: **إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ** [10].

ولم يقتصر فضل العدل على ذلك، بل جعل النبي ﷺ الإمام العادل أولَ من ذُكر من السبعة الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، فقال ﷺ: **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**، وذكر أولهم: **الإمام العادل**[11]

ولم يقتصر الإسلام على الدعوة إلى العدل في الظروف السهلة، بل شدّد عليه حتى في أحلك المواقف، ومع أشد الناس مخالفة وبغضًا، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [12].

فهذا توجيه رباني يربّي المسلم على أن العدل لا يتأثر بالمشاعر، ولا يتغير مع الخصومة، بل يبقى ثابتًا مهما تغيّرت الظروف، ولهذا يمكن القول إن العدل في الإسلام ليس مجرد خلق يُمدح، بل هو ميزان يحفظ الدين، ويقوم به نظام المجتمع، وتُبنى عليه علاقة الإنسان بربه وبالناس.

شمول العدل في الإسلام:

من أبرز ملامح العدل في الإسلام أنه ليس محصورًا في بابٍ واحد، ولا مقيدًا بمجالٍ دون آخر، بل هو مبدأ شامل في كل تفاصيل الحياة، من علاقة الإنسان بربه، إلى علاقته بنفسه، ثم بالناس من حوله.

فالإسلام لا ينظر إلى العدل على أنه تطبيقات جزئية هنا وهناك، بل يقدمه كمنهج حياة متكامل، إذا اختلّ في جانب، ظهر أثر ذلك في بقية الجوانب في حياته.

أولًا: العدل مع الله تعالى

وأعظم صور العدل على الإطلاق: أن يُعطي الإنسان حق ربه الذي خلقه لأجله؛ وهو الإيمان به وتوحيده وعدم الإشراك به شيئًا، فإن أعظم الظلم ليس ظلم الإنسان لغيره، بل ظلم العبد لنفسه حين يصرف العبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (13)

ثانيًا: العدل مع النفس

ومن العدل الذي يغفل عنه كثير من الناس: العدل مع النفس، فلا يُحمّلها فوق طاقتها، ولا يتركها في شهواتها بلا ضابط شرعي، فالإنسان العادل مع نفسه هو الذي لا يظلمها بالمعاصي والذنوب ولا يهملها حتى تضعف وتضيع، بل يعطيها حقها من العبادة والتربية والراحة في توازنٍ حكيم وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى حين قال: **وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**(14)

ثالثًا: العدل مع الناس

وهنا تتجلى الصورة الأوسع للعدل، إذ لا يقتصر على جانبٍ واحد من الحياة، بل يمتد إلى جميع العلاقات والتعاملات الإنسانية، فيكون المسلم منصفًا مع كل من حوله، قريبًا كان أو بعيدًا.

ويشمل ذلك:

العدل
مع الوالدين، بأداء حقوقهما وبرّهما والإحسان إليهما دون تقصير أو عقوق.

العدل
بين الأبناء في التربية والعطاء وإظهار المحبة.

العدل
بين الزوجات في الحقوق والنفقة والمعاملة لمن كان له أكثر من زوجة.

العدل
مع الزوج أو الزوجة بأداء الحقوق والوفاء بالواجبات وحسن المعاشرة.

العدل
مع الأقارب والأرحام، فلا يحمل الهوى على ظلم أحدٍ منهم أو التعدي على حقه.

العدل
مع الجيران والزملاء وسائر الناس، بإعطاء كل ذي حق حقه.

العدل
في الحكم والقضاء بين الخصوم، دون ميلٍ إلى طرفٍ على حساب آخر.

العدل
في المعاملات المالية، بعيدًا عن الغش والخداع وأكل حقوق الآخرين.

العدل
في القول والشهادة، فلا يُقال إلا الحق، ولو كان على النفس أو الوالدين أو الأقربين.

بل إن الإسلام ارتقى بالعدل حتى جعله مطلوبًا مع المخالفين قبل الموافقين، ومع من نحب ومن نكره على حد سواء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(15)

آثار العدل في المجتمعات:

ليس العدل في الإسلام فكرة مثالية تُطرح للتأمل فقط، بل هو قوة حقيقية تُبنى بها المجتمعات وتستقيم بها الحياة، وإذا غاب، لم تُغنِ القوانين ولا الأنظمة مهما بلغت من القوة والدقة.

فالمجتمع الذي يُقام فيه العدل يشعر فيه الإنسان بالأمان قبل أن يشعر بالقوة، وبالطمأنينة قبل أن يشعر بالرخاء؛ لأن الحقوق فيه مصونة، والموازين فيه مستقيمة، وله آثار قيمة ومفيدة:

1 استقرار المجتمع وانتشار الأمان

من أعظم آثار العدل أنه يُنشئ بيئة آمنة مطمئنة، يعرف فيها كل إنسان أن حقه محفوظ، وأن الظلم غير مقبول.

وحينها تختفي كثير من مظاهر الخوف والقلق الاجتماعي، ويحل محلها الثقة بين الناس، فتستقيم المعاملات، وتزدهر الحياة.

2 قوة الروابط بين الناس

العدل يُنتج الثقة، والثقة تُنتج المحبة، والمحبة تُنتج مجتمعًا متماسكًا، أما إذا غاب العدل، حلّ محله الشك، ثم الكراهية، ثم التنازع، حتى تتفكك الروابط شيئًا فشيئًا، ولو بقيت الأجساد متقاربة ولهذا كان العدل من أعظم أسباب حفظ وحدة المجتمع واستقراره.

3 ازدهار العمران والاقتصاد

المجتمع العادل هو مجتمع منتج بطبيعته؛ لأن الناس فيه يعملون وهم مطمئنون أن جهدهم لن يُهدر، وأن حقوقهم لن تُنتهك، أما في بيئة الظلم، فإن الخوف يقتل الإبداع، ويضعف الإنتاج، ويجعل الناس يبحثون عن النجاة بدل البناء، ولهذا كان العدل أساسًا في نهضة الأمم وقيام الحضارات.

4 زوال الظلم والفساد

وحين يُقام العدل، يضيق مجال الظلم والفساد شيئًا فشيئًا؛ لأن كل حق يجد من ينصفه، وكل مظلمة تجد من يرفعها.

أما إذا غاب العدل، فإن الفساد لا يحتاج إلى جهد لينتشر، بل يكفي أن يُترك بلا رادع.

فبهذا يظهر أن العدل ليس مجرد قيمة أخلاقية، بل هو الأساس الحقيقي لبقاء المجتمعات واستمرارها وازدهارها، وبدونه لا تستقر حضارة، ولا تدوم قوة.

5 محبة الله تعالى ونزول البركة

ومن أعظم الآثار التي يغفل عنها كثير من الناس: أن العدل سبب لمحبة الله تعالى، ونزول البركة في الأرض قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[16]

وقال النبي ﷺ: إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ [17]

وفي النهاية والختام!

حين نتأمل هذا المفهوم في ضوء الإسلام، ندرك أن العدل ليس تفصيلًا جانبيًا في الدين، ولا خلقًا يُذكر في المناسبات، بل هو روح الشريعة، وميزان الحياة، وسرّ استقامة الأمم والأفراد.

فالعدل يبدأ من داخل الإنسان، في نظرته لنفسه وربه، ثم يمتد إلى بيته وأسرته، ثم يتسع ليشمل المجتمع كله، حتى يصبح نظامًا متكاملًا يحفظ الحقوق، ويمنع الظلم، ويقيم الحياة على أساس من الإنصاف والرحمة.

وكلما ابتعد الناس عن العدل، اضطربت حياتهم، ولو ملكوا من أسباب القوة ما ملكوا، وكلما اقتربوا منه، وجدوا من الطمأنينة والاستقرار ما لا تصنعه القوانين وحدها، ولهذا كان العدل من أعظم القيم التي جاء بها الإسلام، ليس فقط ليُعرف، بل ليُقام ويُعاش، ويُترجم إلى واقعٍ في كل قولٍ وفعلٍ وتعامل.

فالآن يبقى العدل امتحانًا يوميًا للإنسان في كلمته، في حكمه على الناس، وحتى في حكمه على نفسه وذاته.

فطوبى لمن كان ميزانه قائمًا على الحق، وعدله شاهدًا له لا عليه، يوم لا ينفع مالٌ ولا جاه، وإنما يبقى ما قدّمه الإنسان من إنصاف وعدل.

---

(1) [النحل: 90].
(2) (مختار الصحاح: 202/1).
(3) (لسان العرب: 430/11).
(4) (التعريفات: 147/1).
(5) [الحديد: 25].
(6) [الكهف: 49].
(7) [النساء: 135].
(8) [المائدة: 8].
(9) [الممتحنة: 8].
(10) (صحيح مسلم: 1827).
(11) (صحيح البخاري: 660).
(12) [المائدة: 8].
(13) [لقمان: 13].
(14) (سنن أبي داود: 1369).
(15) [المائدة: 8].
(16) [الممتحنة: 8].
(17) (صحيح مسلم: 1827)

فهد محمد العطاري

الهشاشة الفكرية

مفهومها، أسبابها، مخاطرها وسبل علاجها

في عالم تتصارع فيه الأفكار وتتدفق فيه المعلومات بلا توقف، حيث تتغير المفاهيم وتتبدل القيم بسرعة الضوء، يظهر أمامنا تحدٍ خفي ولكنه عميق الأثر، وهو ما يمكن تسميته بـ"الهشاشة الفكرية".

فما هو مفهوم الهشاشة؟ وما هي أسبابها وكيف يمكننا تحويل هشاشتنا الفكرية إلى قوة تمكننا من فهم العالم بشكل أعمق، والتعامل مع مخاطرها بحكمة واتزان؟

هذا ما سنتناوله في هذا المقال، سعيًا لكشف أبعاد هذه الظاهرة وسبل تجاوزها:

أولاً: مفهوم الهشاشة الفكرية وأبرز سماتها

الهشاشة الفكرية هي حالة من الضعف والاهتزاز في البناء المعرفي والقناعات لدى الإنسان، بحيث لا يمتلك عقله ركائز ثابتة أو مرجعيات واضحة يعتمد عليها في فهم الأمور والحكم عليها.

فالشخص الذي يعاني من هشاشة فكرية تتسم رؤيته بالتشوش، ويتأثر بكل رأي يسمعه أو فكرة تُعرض عليه، دون أن يملك القدرة على التمعّن أو الرفض أو القبول المبنيّ على أساس سليم.

وتتجذّر هذه الهشاشة في رفض التعرّف على وجهات النظر الأخرى، أو في الاعتماد المفرط على آراء الآخرين دون تفكير مستقل، ومع تفشي هذه الحالة المرضية، تتحول المعرفة إلى مجرد قشور خارجية، وتصبح القدرة على الحوار والتفاهم أمرًا شبه مستحيل! ومن أبرز سمات هذه الحالة:

- التذبذب المستمر في المواقف
- والانسياق السريع خلف الآراء المتجددة دون وعي
- وغياب القدرة على الربط بين الأسباب والنتائج، بالإضافة إلى سهولة تغيير القناعات والمعتقدات تحت أدنى ضغط أو تأثير خارجي، وكأن فكره بناء غير محصن ينهار أمام أدنى ريح.

الفرق بين الهشاشة الفكرية والمرونة الفكرية

كثيراً ما يلتبس الأمر على الناس فيفرقون بين الهشاشة والمرونة، والحقيقة أنهما نقيضان تمامًا.

فالمرونة الفكرية هي سمة إيجابية تعني امتلاك قاعدة معرفية راسخة وثابتة، مع القدرة على تقبل الرأي الآخر، ومناقشته، وتصويب الخطأ إذا تبين، والانفتاح على المستجدات دون أن يمس ذلك الثوابت والأصول.

أما الهشاشة الفكرية فهي سمة سلبية، حيث لا وجود لأصل ثابت أو قاعدة مرجعية، فيتغير الفكر بتغير المكان والزمان والأشخاص، وتصبح القناعات مجرد ردود أفعال لا مبادئ راسخة.

ثانيًا: أسباب نشأة الهشاشة الفكرية

1 ضعف المعرفة العقلية وغياب التربية الإسلامية الصحيحة

إن أساس قوة الفكر هو قوة المعرفة، وغيابها هو منبع الضعف.

فعندما ينشأ الإنسان ضعيف المعرفة، قليل الاطلاع، غير ملم بأصول الدين وقواعده، ولا بمعطيات العقل والمنطق، فسيكون عقله أرضا بلا بذر صالح، سهلة التأثّر بكل ما يلقى فيها.

والتربية الإسلامية الصحيحة هي التي تغرس في العقل المرجعيات، وتضع الميزان الذي يوزن به كل فكرة، فإذا غابت أو ضعفت، حلّت الهشاشة محل المتانة كالشجرة التي ينخرها السوس.

2 تأثير البيئة السيئة في تكوين السلامة الفكرية

الإنسان ابن بيئته، فالبيئة التي تنتشر فيها المفاهيم الخاطئة، والقيم المنحرفة، والحوارات العشوائية، تترك أثرا بالغا في تكوين الفكر.

فإذا نشأ الفرد أو عاش في مجتمع لا يحترم العلم، ولا يعلي من شأن القيم، وتسوده الفوضى في المفاهيم، فإن ذلك ينسف كل أساس متين وتتشكل قناعاته وأفكاره وفق ما يراه ويسمعه من حوله، مما يزرع الهشاشة ويجعل رؤيته للواقع مشوشة وغير مستقرة.

3 كثرة المعلومات والشبهات العشوائية

ولا نغفل كذلك عن سبب كثرة المعلومات والشبهات العشوائية التي تتدفق علينا من كل حدب وصوب في عصرنا الحالي كوسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الإعلامية وغيرها من المواد، حيث تختلط الحقائق بالأوهام، والثوابت بالمتغيرات، وتطرح الشبهات دون ترتيب أو تدقيق، فيجد الفرد نفسه أمام كمّ هائل من المادة الفكرية المضطربة التي ترهق عقله، وتضعف قدرته على التمييز، وتجعله عرضة للتذبذب والانزلاق، مما يعمق من هشاشته الفكرية ويجعله غير قادر على الصمود أمام أي تحدّ يواجهه.

ثالثًا: مخاطر الهشاشة الفكرية

1 انتشار الفوضى الفكرية والتحرر من القيم الإسلامية

عندما تسود الهشاشة الفكرية بين أفراد المجتمع، تنهار الحواجز الواقية، وتنتشر الفوضى في المفاهيم، حيث يصبح كل رأي مقبولا وكل فكرة متساوية مع غيرها، وتضيع المعايير الصحيحة.

ومن أخطر ما يترتب على ذلك هو التحرر التدريجي من القيم والثوابت الإسلامية، والنظر إليها وكأنها مجرد آراء قابلة للتغيير أو النقاش، مما يفقد المجتمع هويته المرجعية ويهدم أساس تماسكه.

2 ضياع الأخلاق والانحراف عن الهوية الإسلامية

الفكر هو الموجه للسلوك، فإذا ضعف الفكر واهتزت قواعده، انعكس ذلك مباشرة على السلوك والأخلاق، فالهشاشة الفكرية تؤدي إلى تفكك في المنظومة الأخلاقية، حيث لا يعود هناك معيار ثابت للخير والشر، أو الحسن والقبيح.

وينتج عن ذلك انحراف واضح عن الهوية الإسلامية الأصيلة، واستبدالها بأنماط وسلوكيات دخيلة لا تمت لقيمنا بصلة، تحت شعارات براقة ومفاهيم مزيفة يجدها العقل الهش أرضا خصبة للنمو.

3 الانقياد وراء الأفكار المنحرفة

العقل المهتز هو أسهل ما يمكن اختراقه وتوجيهه، فصاحب الهشاشة الفكرية لا يملك حصانة، مما يجعله فريسة سهلة لكل من يريد التلاعب به، أو توجيهه نحو أفكار منحرفة، أو مذاهب باطلة، أو تيارات هدامة.

فترى الإنسان يسير مع التيار أينما اتجه، وينقاد وراء كل دعوة دون تفكير، وقد يصبح أداة لنشر الفساد الفكري والانحراف وهو لا يشعر، لأنه ببساطة يفتقد القدرة على الرؤية الصحيحة والتمييز الدقيق.

رابعًا: علاج الهشاشة الفكرية

اِعلم عزيزي القارئ بأن العقل الذي لم يتدرب على كيفية التعامل مع المعلومات، ومقارنة الأدلة، وموازنة الحجج، يظل هشًا وعرضة للانجراف مع كل تيار أو رأي جديد.

ولكن كيف يمكن لعامة الناس القيام بذلك؟ وكيف نحفزهم ضمن إجراءات عملية ومنظمة؟

هذه القدرة ليست مقتصرة على المتخصصين فحسب، بل يمكن اكتسابها من قبل الجميع عبر خطوات بسيطة:

أولاً: البدء بالأساسيات الواضحة التي لا تتطلب التعمق في التفصيلات المعقدة، بل يكفي تعلم الثوابت الأساسية، ومعرفة المصادر الموثوقة، وفهم المعايير البسيطة التي يُحكم بها على أي فكرة، مثلًا: هل هذه الأفكار توافق الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح؟ وهل لها دليل واضح؟

ثانيًا الممارسة التدريجية: أي توجيه الناس لطرح أسئلة بسيطة عند تلقي أي معلومة: من القائل ومن أين المصدر؟ وما الهدف من هذه المعلومة؟ وهل تتعارض مع ما نعرفه من حقائق ثابتة؟

فهذه العادة قد تُنمّي القدرة على التمييز بمرور الوقت دون مجهود كبير.

ثالثًا: توفير بيئة داعمة ومحفزة:

- إقامة حلقات توعوية ودورات تربوية لتبسيط مفاهيم التفكير والإدراك.
- توفير مواد تعليمية مسموعة ومرئية ومقروءة تناسب مع مختلف الفئات العمرية.
- التشجيع على الاستشارة والرجوع إلى أهل العلم دار الإفتاء لأهل السنة التابع لمركز الدعوة الإسلامية لمعرفة الحقائق وتمييزها بدلاً من البقاء في الحيرة أو الأخذ بالشائعات.
- توضيح الفائدة العملية: يتحمس الناس عندما يرون الأثر الإيجابي، فالفكر المستقر يوفر السكينة النفسية، ويحمي من الحيرة والانقياد، ويجعل القرارات أكثر صوابًا وثباتًا.

فالشاب أو الفتاة إذا واجهوا أفكار مشكوكة لا تتعلق بالشريعة الإسلامية ولا بأصولها فقد يسهل عليهم الانخداع والانجرار نحو سلوكيات خاطئة لا صلة لها بالدين الإسلامي الحنيف وهذا يؤدي إلى اعتناق الأفكار الغربية المنحرفة وإعاقة في السلوك القويم الذي دلّ عليه الكتاب والسنة الشريفة..

فالهدف هو كشف الصواب والخطأ بوعي، وليس بمجرد التقليد أو الانفعال الذي يقود إلى الهاوية المظلمة.

تحصين الأبناء ضد الأفكار السلبية بالعلم الصحيح

لقد أثبتت التجارب الطويلة أن الوقاية في ميدان الفكر هي خير من العلاج، وأن بناء الحصانة الفكرية يبدأ منذ مراحل التكوين الأولى.

إن تحصين النشأ لا يكون بالانعزال عن العالم أو إغلاق الأبواب، بل بغرس المعرفة الصحيحة الراسخة من القرآن الكريم والسنة النبوية وما ذكر عن السلف الصالح رضوان الله عليهم والاقتداء بالصالحين هو خير سبيل لبناء القيم الصحيحة في نفوسهم وعقولهم ولإدراك الصحيح عن الخطأ.

وعلى مدار سنوات وجدتُ أن تقديم العلم النافع والمعتقد الصحيح بأسلوب واضح ومنطقي، وشرح الحقائق ببرهان ودليل، هو ما يجعل الأبناء يمتلكون مناعة ذاتية ضد أي أفكار سلبية أو منحرفة قد تُعرض عليهم..

فالعقل المشتعل بالنور والمعرفة لا يمكن أن يتسع للشك أو الانحراف من أن ينفذ إليه بأي شكل من الأشكال.

إدخال مقرر للثقافة الإسلامية في جميع مراحل التعليم، مع مراعاة مستوى الفهم والقدرات الذهنية لكل مرحلة عمرية؛ بحيث يتعلم النشء والشباب أصول الدين وقواعده الثابتة، ومعالمه الأساسية، ورؤيته الشاملة لجميع جوانب الحياة ونظمها المختلفة.

ويُقدّم هذا المحتوى بلغة ميسرة سهلة الفهم، ومنهج يقوم على الحوار الهادف والدليل المقنع، وليس مجرد تلقين وحفظ.

وبهذا نضمن للشباب الانطلاق في حياتهم من قاعدة معرفية راسخة، ونمنحهم الحصانة الفكرية اللازمة لمواجهة ما يُعرض عليهم من أفكار ومعلومات.

بناء بيئة تربوية سليمة تجمع بين العلم الديني والعصري

لا يمكن الحديث عن علاج حقيقي للهشاشة الفكرية بمعزل عن البيئة التي ينمو فيها الفكر ويتشكل، فالإنسان ابن بيئته إلى حدّ كبير.

ومن خلال تطور المجتمع، تبين أن البيئة التربوية السليمة هي تلك التي لا تنفصل فيها الهوية الدينية عن متطلبات العصر، ولا يقف فيها العلم الشرعي عائقا أمام المعرفة العصرية، بل يندمجان معا في تكاملٍ متناغم.

فبناء بيئة تجمع بين أصالة الدين وحداثة المعرفة، وتغرس القيم الثابتة مع تقبّل المستجدات المفيدة، هو الضمانة الحقيقية لخلق جيل قوي الفكر، مستقر الرأي، قادر على التعامل مع معطيات العصر دون أن يفقد هويته أو يتزحزح إيمانه..

فهذا التوازن هو ما يصنع الفكر السليم، ويحمي المجتمع من الاضطراب والانزلاق.

ختامًا أخي الحبيب!

إن الهشاشة الفكرية آفة خطيرة تهدد كيان الفرد والمجتمع، وهي ليست مجرد ضعف شخصي، بل مشكلة تمتد آثارها لتشمل الأخلاق والهوية والانتماء.

ولن نستطيع مواجهتها إلا بالوعي والعلم الصحيح، والبناء المتين للعقول والقناعات.

إن بناء الفكر القوي الراسخ هو واجب ديني وضرورة حياتية، وسبيلنا الوحيد لحماية أنفسنا وأجيالنا من التيه والانحراف، والحفاظ على هويتنا الإسلامية النقية في عالم تتضارب فيه المفاهيم وتتعدد فيه التحديات.

فبالعلم الراسخ والفكر المستنير تبنى الحضارات وتحفظ القيم.

محمد سجاد أنجم القادري

كيف نتعامل مع الحيوانات والطيور؟

إن الأخلاق في الإسلام هي أساس بناء المجتمع الصالح، وهذه الأخلاق لا تقتصر على حسن التعامل بين الناس فقط، بل تمتد لتشمل كل ما خلقه الله تعالى في هذا الكون، وخصوصًا الحيوانات والطيور.

لذلك كان الرفق بهذه الكائنات الضعيفة التي لا تتكلم ليس مجرد عمل إضافي نفعله أو نتركه، بل هو واجب ديني وإنساني يدل على طهارة القلب، وصفاء الروح، ورقي الأخلاق.

وفي زماننا هذا، نحن بحاجة شديدة إلى إحياء هذه القيم النبيلة؛ لأننا نرى كثيرًا من القسوة والإهمال لحقوق هذه المخلوقات، إما بسبب الجهل وإما بسبب الانشغال بالماديات.

مكانة الحيوان والطير في الإسلام:

وفي هذا السياق، لا تقتصر التعاليم الإسلامية على التوصية بالرفق فحسب، بل إننا إذا نظرنا إلى مكانة الحيوان والطير في الإسلام، نجد أن القرآن الكريم قد أكد حقيقة إيمانية عظيمة تبين أهمية الحيوانات والطيور فهي ليست مخلوقات بلا قيمة أو تعيش بلا نظام، بل هي مجتمعات لها نظامها الخاص، وتشترك مع الإنسان في عبادة الله والتسبيح له، ويظهر هذا المعنى الواضح في قوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1]

لذلك فإن هذا الوصف بأنها أمم أمثالنا يرفع من قيمة هذه الكائنات ويجعل من واجب الإنسان أن ينظر إليها باحترام ومسؤولية، لا باحتقار وظلم؛ فهي شريكة معنا في عمارة الأرض وحفظ توازن الطبيعة.

الثواب والعقاب في التعامل مع الحيوان:

لقد جعل الإسلام طريقة تعامل الإنسان مع الحيوان سببًا لدخول الجنة أو النار، فالرفق بالحيوان عبادة عظيمة تقود إلى الجنة، والقسوة معه ذنب كبير يؤدي إلى النار ففي جانب الرحمة والثواب، يخبرنا النبي ﷺ بقصة الرجل الذي سقى كلبًا فعن أبي هريرة رضي الله عنه:

> أن رسول الله ﷺ قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ التراب الرطب مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الحيوانات لأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ.[2]

وفي جانب التحذير من القسوة، يخبرنا النبي ﷺ عن امرأة دخلت النار بسبب قطة:

ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

> عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ حشرات الأرض ونباتها.[3]

إن هذين الحديثين يظهران قمة العدل والرحمة في الإسلام؛ فالتعامل مع الحيوان هو اختبار حقيقي لإنسانية الإنسان ورحمة قلبه، ومقياس دقيق لسلامة نفسه من الأنانية.

كيف نتعامل مع الحيوانات والطيور؟

لا يكتفي الإسلام بالحديث النظري عن الرحمة، بل يقدم قواعد عملية واضحة للتعامل اليومي مع الحيوان والطير في كل الأوقات، وتظهر هذه الرحمة في أمور أساسية:

أولًا: توفير الطعام والشراب والمسكن:

يجب على كل من يملك حيوانا أو يربيه أن يوفر له الأكل والشرب الكافي، والمكان المناسب الذي يحميه من حر الصيف وبرد الشتاء. وقد حرم الإسلام تجويع الحيوانات أو حبسها دون رعاية، واعتبر ذلك ذنبا كبيرا يستحق العقاب.

ثانيا: الرفق بها أثناء العمل والركوب:

عند استخدام الحيوانات للحمل أو السفر، وضع الإسلام حدودا صارمة لحمايتها من التعب الشديد. فقد نهى النبي ﷺ عن تحميل الحيوان فوق طاقته، أو الوقوف الطويل فوق ظهره للكلام والحديث. وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فَعَلَيْهَا فاقضوا حاجتكم.[4]

ثالثا: الرحمة والإحسان عند الذبح:

حتى في اللحظة التي أباح الله فيها الاستفادة من لحم الحيوان، لم تغب الرحمة؛ بل ظهرت في أعلى صورها من خلال قواعد الذبح الرحيم، حيث جاء عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذبحتُم فأحسِنوا الذِّبحةَ، وليُحدَّ أحدُكم شفرتَهُ وليُرِح ذبيحتَه.**[5]

ومن تمام هذا الإحسان والرحمة: ألا يذبح حيوان أمام حيوان آخر، وألا يتم شحذ (سن) السكين والحيوان ينظر إليها، مراعاة لخوفه وشعوره قبل الموت.

ممارسات حرمها الإسلام في التعامل مع الحيوان:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بأوامر واضحة تمنع أي تصرف يؤذي الحيوان أو يحرمه من حقوقه، ومن أبرز هذه الممارسات الممنوعة:

1. **منع التعذيب والضرب والكي في الوجه:** حرم الإسلام ضرب الحيوانات بقسوة، أو تغيير شكلها، أو تعليمها بالنار (الكي) في وجهها؛ لأن في ذلك تعذيبا لها. وقد ورد في ذلك نهي شديد، حيث قال سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْعَلامَةِ فِي الْوَجْهِ.**[6]
2. **تحريم اتخاذ الحيوانات والطيور أهدافًا للّعب:** يمنع الإسلام منعا تاما حبس الطيور أو الحيوانات لجعلها أهدافا للتدريب على الرماية لمجرد التسلية واللعب والعبث بروحها، وفي هذا الموقف جاء عن سيدنا سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: مر ابن عمر بفتيانٍ من قريشٍ قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر رضي الله عنهما تفرّقوا، فقال سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا: إن رسول الله ﷺ **لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا.**[7]
3. **تحريم (التحريش بين البهائم):** إن تنظيم مصارعات بين الحيوانات (مثل مصارعة الثيران أو الديوك) لإثارة غضبها وجعلها تقاتل بعضها بعضا لمجرد تسلية الناس هو فعل محرم في الإسلام؛ فقد رُوِي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: **نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ.**[8]

الأثر التربوي والاجتماعي للرفق بالحيوان:

إن نشر ثقافة الرحمة بالحيوانات والطيور ليس مجرد رفاهية، بل هو أساس لحماية أخلاق المجتمع. فالإنسان الذي يتعود على مساعدة حيوان ضعيف، يرق قلبه وتتحسن تصرفاته تلقائيا مع البشر. وعلى العكس، فإن القسوة مع الحيوانات وتعذيبها تولد في القلوب قسوة شديدة تؤدي إلى الجريمة والعدوانية بين الناس، وإن تعليم هذه القيم للأجيال الجديدة يزرع في نفوسهم طاقة التعاطف، ويرسخ لديهم روح المسؤولية تجاه الكون وما فيه، ويضمن الحفاظ على التوازن البيئي وطبيعة الحياة التي خلقها الله لاستمرار العيش بأمان على كوكب الأرض.

ومن هنا كانت رعاية الحيوان والرفق بالطير في الإسلام هي مسؤولية الجميع، ويجب أن تتحول من مجرد شعارات إلى أفعال يومية تخرج من العقيدة والضمير، والواجب اليوم يتطلب تعاون المدارس، والإعلام، والقوانين لإعادة إحياء هذه المعاني العظيمة، وذلك من خلال تعليمها للطلاب في المناهج الدراسية، وتطبيق قوانين حازمة تمنع إيذاء هذه الكائنات الضعيفة، لنكون بحق أمة الرحمة التي تستحق رحمة الله، كما قال النبي ﷺ: **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرحمنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ.**[9]

وفي الختام!

"لا يُمثِّل الرفق بالكائنات في الإسلام مجرد موقف إنساني عابر، بل هو التزام ديني ينبع من عمق العقيدة؛ إنها الرحمة التي يغرسها الدين في قلوبنا، لِتُوَجِّهَ تعاملنا مع الكون وكل ما فيه من أحياء بوعي ومسؤولية.

إن حماية هذه الكائنات الضعيفة والرفق بها هي الطريق لنيل رحمة الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، وهي علامة على رقي المجتمع وإنسانيته فلنجعل من هذه التعاليم العظيمة سلوكًا يوميًا في حياتنا، ولنكن دائمًا من "الراحمين" حتى يرحمنا الرحمن.

---

(1) [الأنعام: 38]. (2) (صحيح البخاري: 112/3، رقم الحديث: 2363). (3) (صحيح البخاري: 130/4، رقم الحديث: 3318). (4) (سنن أبي داود: 25/3، رقم الحديث: 2567). (5) (صحيح مسلم: 1548/3، رقم الحديث: 1955). (6) (صحيح مسلم: 1673/3، رقم الحديث: 2116). (7) (صحيح مسلم: 5062) (معنى غرضا: أي هدفًا للرماية). (8) (سنن أبي داود: 23/3، رقم الحديث: 2562).(9) (سنن الترمذي: 324/4، رقم الحديث: 1924).

أم حيان العطارية

غرس محبة الصالحين في قلوب الأبناء

تربية الأولاد من أصعب المهام في هذا الزمان الصعب، ودائمًا التربية تحتاج إلى قدوة حسنة، فالأم هي المدرسة الأولى، والطفل يأخذ القيم من بيئته، والأم مدرسة من مدارس القيم فهي التي تغرس في قلبه حب الله تعالى وحب أولياء الله وحب العلماء والصالحين الربانيين، فمن أحب شيئًا اتبعه وهكذا طبْع الإنسان يتبع من يحب، فمن أحب مغنيًا أو مشهورًا على وسائل التواصل الاجتماعي قلّده في كل شيء، فلذا على الأهل أن يغرسوا القدوة الحسنة في قلوب أطفالهم قبل أن يتعلق قلبه بقدوة سيئة، فإذا كانت الأم تحب الصالحين فعلاً فالمشاعر تنتقل، والطفل يشعر بأمه ويتأثر بها، ومن الوسائل التي يتأثر بها الأطفال سماعهم القصص الجميلة، فذكر قصص الصحابة والتابعين والصالحين التي نستلهم منها العبر والمواعظ بشكل دائم تجعل الطفل يتعلق قلبه بهم، فلكل قصة مناسبة فإذا أرادت أن تحثهم على الكرم والتقوى والخوف من الله ذكرت لهم قصة مناسبة في هذا السياق، ولكل موضوع له قصة مناسبة من حياتهم، فالإخلاص والصدق والتقوى والخوف من الله عز وجل يغرس في نفوسهم محبة الصالحين فيعرفون من خلالها كيف عاشوا، وضحوا؟! فكانوا قدوة لنا في كل شي.

توبة قطاع الطرق على يدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

فعندما نحكي لأطفالنا عن الصدق نذكر قصة الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى عندما ربّته أمّ صالحة حين خرج للسفر قالت له: عليك بالصدق يا عبد القادر! فلما كان في طريق سفره خرج له قطاع الطريق فسألوه هل معك مال؟ قال نعم!.

قالوا أين هو؟! فدلهم على مكان المال فدهشوا منه وسألوه لماذا أخبرتنا وتعلم أننا سنأخذ مالك، قال لقد أوصتني أمي وقالت لي عليك بالصدق، فتاب قطاع الطريق بسبب صدق طفل ربته أمه على المبادئ الإسلامية، فأثّر صدقه في قلوب قطاع الطريق!. [1]

فمثل هذه القصص قد تؤثر تأثيرا كبيرا عند الصغار والكبار وكذلك قصص العدل والتواضع عند أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان يمشي في الليل يتفقد الرعية وهو أمير المؤمنين، ويسمع بائعة اللبن (الحليب) حين أرادت أن تخلط اللبن بالماء وقالت لها ابنتها: إن أمير المؤمنين نهانا عن الغش. [2]

نعم بمثل هذه القصص ترسخ مراقبة الله تعالى في قلوب الأطفال وكذا قصص الكرم والإيثار فكذلك خير.

كقصة سيدنا عثمان رضي الله عنه عندما اشترى بئر رومة لأن صاحبه اليهودي كان قد استغل المسلمين، فكان يبيعهم الماء بسعر باهظ، فاشترى سيدنا عثمان البئر وجعله وقفًا لله تعالى، [3] فما أعظم من هذا العمل، كرم وعطاء لا مثيل له، هؤلاء العظماء آثروا الآخرة على الدنيا فخلد الله ذكرهم.

إن ذكر قصة واحدة بأسلوب جميل وحال صادق من الذي يذكرها قد يؤثر في قلب الإنسان أكثر من دروس كثيرة، والصحابة والتابعون والصالحون هم القدوة التي يجب أن يتبعها أبناؤنا، كيلا يكونوا ضحيةً للمشاهير الساقطة ولا الممثلين أو لاعبي كرة القدم يقلدونهم بالأكل واللباس بل حتى قصة الشعر والعياذ بالله.

ومع الأخذ بالأسباب وذكر القصص لابد بعد ذلك كله من التضرع إلى الله تعالى، والدعاء بأن يكرمنا ويهدي أولادنا وأنفسنا، فسيدنا يوسف عليه السلام دعا ربه فقال:

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ [4]

هذا نبي الله تعالى من تواضعه دعا أن يلحقه الله تعالى بالصالحين، ولم يقل: اجعلني صالحًا بل قال: ألحقني بالصالحين، وهذا من شدة تواضعه لله تعالى.

فلا بد لنا من أن نأخذ بالأسباب كلها ونتوكل على الله وندعوه بأن يوفقنا ويهدي قلوبنا وقلوب أبنائنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل ذرياتنا من حملة راية الإسلام وقرة أعين لخير الأنام سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ.

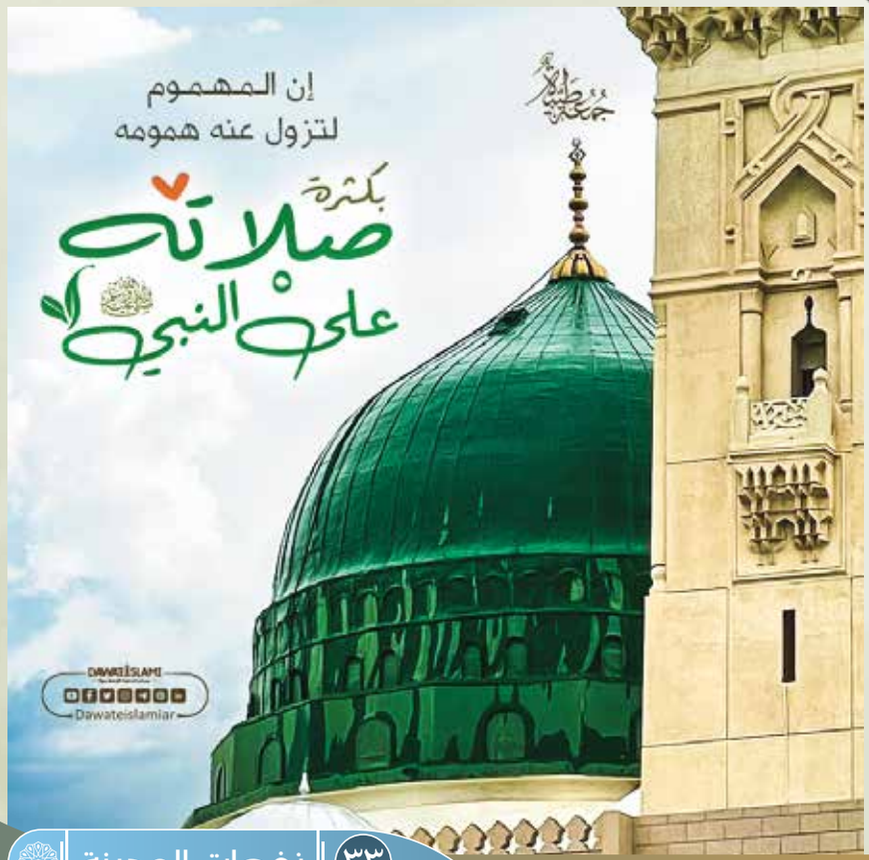

---

(1) (إتحاف الأكابر للشيخ عبد المجيد بن طه الدهيبي: 187-188، دار الكتب العلمية، مختصرًا).
(2) (تاريخ مدينة دمشق: 252/70، مختصرًا).
(3) (سنن الترمذي: 3723، مقتبساً).
(4) [يوسف: 101].

الشيخ عبد الباسط المحمد

الكذب

داء يهدم الثقة ويفسد المجتمعات

الحمد لله الذي أمر بالصدق وجعله من صفات المؤمنين، ونهى عن الكذب وحذّر من عواقبه الوخيمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الصادق الأمين، الذي كان مثالًا للصدق والأمانة في أقواله وأفعاله. وبعد؛ فإنّ المتأمل في أحوال كثير من الناس اليوم يلحظ انتشار الكذب في أحاديثهم ومعاملاتهم، حتى أصبح عند بعضهم علامة على الذكاء وحسن التصرف! بل وسيلة لتحقيق المصالح والمكاسب. وقد أدّى هذا السلوك إلى ضعف الثقة بين الناس، فصار المرء يشكّ حتى في أقرب الناس إليه بسبب كثرة الكذب والتلاعب بالحقائق.

وفي هذا المقال نسلّط الضوء على خطورة الكذب، ونبيّن الأدلة على تحريمه، وأبرز أسبابه وآثاره، مع ذكر بعض الوسائل النافعة للعلاج، سائلين الله تعالى أن ينفعنا بما نقول ونكتب، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

معنى الكَذِبِ لُغةً: الكَذِبُ نَقيضُ الصِّدقِ، يقالُ: كَذَب يَكذِبُ كَذِبًا وكِذْبًا.[1]

معنى الكَذِبِ اصطِلاحًا: قال الإمام النّوويُّ رحمه الله تعالى : (الإخبارُ عن الشّيءِ على خِلافِ ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، سواءٌ كان الإخبارُ عن ماضٍ أو مُستقبَلٍ) [2]

تحريم الكذب من القرآن:

الكذب من أقبح الذنوب وأشنع العيوب، وقد حذّر الله تعالى منه في كتابه الكريم في عدّة مواطن، كلها تدل على وجوب حفظ اللسان وصيانته عن الكذب، وأن يتحرى في كلامه حتى لا يتكلم إلا عن بصيرة، فالواجب عليك أن تتحرى في كلماتك حتى لا يكون فيها ما يضرك وهكذا، منها:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4]

تحريم الكذب في الأحاديث والآثار:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإنَّ البر يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا».[5]

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر.[6]

فليحذر المسلم من الكذب، فإنه طريق الفجور والهلاك، وليحرص على الصدق في أقواله وأفعاله، فإن الصدق سبيل النجاة والفوز برضا الله تعالى.

حالات يُباح فيها الكذب:

الأصل في الكذب أنه محرّم؛ لما يترتب عليه من الضرر والخداع وإفساد الثقة بين الناس. غير أن الشريعة الإسلامية راعت المصالح الراجحة، فأباحت الكذب في حالات مخصوصة عند الحاجة، إذا تعذر الوصول إلى المقصود المحمود بغيره. أمّا إن أمكن تحقيق المقصود بالصدق أو بالتورية عند الحاجة، فلا يجوز اللجوء إلى الكذب.

فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها قالت: **[لم أسمَعْ رسولَ اللَّهِ ﷺ يرخِّصُ في شيءٍ مِمَّا يقولُ النَّاسُ: إنَّه كذِبٌ إلَّا في ثلاثٍ: الرَّجلُ يُصلِحُ بينَ النَّاسِ والرَّجُلُ، يكذِبُ لامرأتِهِ، والكذِبُ في الحَربِ]** [7]

ويمكن تقسيم أحكام الكذب إلى عدة أقسام:

المحرَّم:	المكروه:	المندوب:	الواجب:	المباح:
وهو ما لا منفعة فيه شرعًا، أو ما يترتب عليه ضرر وظلم وخداع.	كالكذب بقصد جبر خاطر الوالد أو الزوجة ونحو ذلك مما لا تدعو إليه ضرورة.	كالكذب في الحرب لإرهاب أعداء الدين وإظهار قوة المسلمين وعتادهم.	إذا كان فيه إنقاذ مسلم أو حفظ ماله من الهلاك والضرر.	كالكذب بقصد الإصلاح بين الناس وإزالة الشحناء والخصومة.

ومع ذلك، فقد ذهب بعض العلماء إلى ذمِّ الكذب مطلقًا؛ لما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد الشديد على أهله، ولِما فيه من فساد الأخلاق وضياع الأمانة.[8]

المعاريض والتحذير من الكذب:

نقل السلف أن في المعاريض فسحة وخروجًا عن الكذب، أي أن الإنسان قد يلجأ إليها عند الضرورة ليتجنب الوقوع في الكذب الصريح، وأما من غير حاجة أو ضرورة، فلا يجوز استعمالها عبثًا، وإن كانت أخف من الكذب المباشر. [9]

ومن أمثلتها ما رُوي:

- عن إبراهيم رحمه الله أنه قال: إذا بلغك عن رجل أمرٌ وكرهت أن تكذب، فقل: إن الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء، فيفهم السامع النفي بينما يحتمل الكلام معنى آخر.
- وكان النخعي رحمه الله يتحرز في وعوده لابنته، فلا يقول: "سأشتري لك سكرًا"، بل يقول: "أرأيتِ لو اشتريت لك سكرًا"، خشية ألا يتمكن من الوفاء.[10]

لكن هذه المعاريض إنما تُستعمل عند الحاجة، أما اتخاذها عادةً من غير سبب فمكروه؛ لأنها قد تفتح باب التهاون بالكذب.

الأسباب التي تدفع إلى الكذب:

الأسباب التي تؤدي للكذب كثيرة من أهمها: ضعف الخوف من الله تعالى وعدم مراقبته، ومحاولة تغيير الحقائق لتحقيق مصلحة أو تفاخر دنيوي، أومجاراة المجالس ولفت الانتباه بالقصص الكاذبة، والهروب من المسؤولية والواقع، والتعود على الكذب منذ الصغر بسبب سوء التربية، واعتقاد بعض الناس أن الكذب دليل على الذكاء وسرعة التصرف.

ومن صور الكذب التي يتساهل فيها كثير من الناس وهي محرّمة:

1. مَنْ قالَ لِصَبِيٍّ: تَعالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ، فَهِيَ كَذِبَةٌ".[11]
2. نقل كل ما يسمعه الإنسان دون تثبّت؛ لأن ذلك يوقعه في الكذب: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".[12]
3. الكذب من أجل إضحاك الناس، قال ﷺ: "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لهُ، وَيْلٌ لهُ".[13]

خطر الكذب في مواقع التواصل الاجتماعي:

ومما يجب التنبّه إليه والتحذير منه الكذب في مواقع التواصل فهو من أخطر الآفات؛ لأنه ينتشر سريعًا ويضلّ به الناس، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[14].

وقال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[15].

ومن صوره نشر الشائعات والأخبار دون تثبّت؛ مما يسبب الفتن وفقدان الثقة بين الناس.

وقد أمرنا الله بالتثبت فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[16].

فالمسلم الصادق يتحرى الحقيقة قبل النشر أو المشاركة خوفًا من الإثم وإضرار الناس.

علاج الكذب وطرق التخلص منه:

أخي المسلم: إذا أردت معرفة قبح الكذب فانظر إلى نفورك من كذب غيرك واحتقارك لصاحبه، فهذا دليل على فطرته السيئة.

ويجب على المسلم أن يتوب إلى الله تعالى من الكذب ويجدّد توبته باستمرار.

ومن أهم وسائل ترك الكذب: معرفة حرمة الكذب وشدّة عقابه، وتذكّر ذلك في كل حديث ومجلس، وتدريب النفس على قول الحق وتحمل المسؤولية.

كما ينبغي الابتعاد عن مجالس الكذب وفضول الكلام، واستبدالها بمجالس الذكر والعلم، مع تربية الأبناء على الصدق.

وليعلم الكاذب أنه يتصف بصفات المنافقين، وأن الكذب يؤدي إلى الفجور، بينما الصدق يهدي إلى الجنة. كما أن الكذب يسقط ثقة الناس ويجلب الخسارة في الدنيا والآخرة.

وخِتامًا: الكذبَ داءٌ خطيرٌ يُفسِدُ القلوبَ ويهدمُ الثقةَ بين الناس، والنجاةُ كلُّها في لزوم الصدق قولًا وعملاً، فهو طريقُ البرِّ والجنة. فليحذرِ المسلمُ لسانَه، وليجعلِ الصدقَ شعاره في كلِّ شأنه.

قال محمود الوراق:

اصدق حديثك إن في ... الصدق الخلاص من الدنس
ودع الكذوب لشأنه ... خير من الكذب الخرس

وقال آخر

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه ... وأحسن الصدق عند الله والناس

(1) (لسان العرب، ابن منظور، 1/704-708).
(2) (المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، 1/ 69).
(3) [الإسراء: 36].
(4) [ق: 18].
(5) (صحيح البخاري: 6094).
(6) (صحيح البخاري: 34).
(7) (سنن أبو داود: 4921).
(8) (ملخصاً من كتاب الإحياء للغزالي، 7/ 522، ومن شرح صحيح مسلم للنووي، 16/ 157).
(9) (الأدب المفرد، البخاري، برقم 884 موقوفاً على ابن عمر).
(10) (المعاريض لابن أبي الدنيا، 44، 45).
(11) (مسند أحمد بن حنبل: 9836).
(12) (سنن أبو داوود: 4992).
(13) (سنن الترمذي: 2315).
(14) [غافر: 28].
(15) (سنن أبي داوود: 4992).
(16) [الحجرات: 6].

محمد جنيد القادري
كاتب في إدارة الشؤون العربية

ثمرةُ وتجسيد رؤية الإمام أحمد رضا الإصلاحية

إن التاريخ الإسلامي يشهد على أنّ الأمة الإسلامية كلما واجهت تحدياتٍ علميةً أو فكريةً أو أخلاقيةً أو دينيةً، قيّض الله تعالى لها رجالًا مخلصين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام، فقاموا بواجبهم بإخلاص وثبات، وأسهموا في حفظ معالمه ونشر تعاليمه.

ومن بين هؤلاء الأفذاذ يبرز شيخ الطريقة القادرية العطارية، فضيلة الشيخ العارف بالله محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى الذي كرس حياته لخدمة الدين، وبذل جهودًا متواصلة أثمرت تأسيس صرحٍ دعويٍّ عالمي يُعرف اليوم باسم "مركز الدعوة الإسلامية".

وقد انطلقت هذه المؤسسة من مدينة كراتشي بباكستان، ثم امتدت مع مرور الزمن -بفضل الله تعالى- إلى مختلف أنحاء العالم حتى غدت مؤسسةً إسلاميةً عالمية، والتي تضم أكثر من ثمانين قسمًا رئيسياً يُعنى بالتعليم والتربية، والدعوة والإصلاح، والبحث والتأليف، والإعلام والتقنية، والخدمات الخيرية والاجتماعية، وغيرها من المجالات، ويندرج تحتها عدد كبير من الإدارات والأقسام التي تعمل في خدمة الإسلام والمسلمين.

ويوافق الثاني من شهر سبتمبر من كل عام ذكرى انطلاق المسيرة الدعوية لهذه المؤسسة، ويُعد هذا اليوم مناسبةً لاستذكار مسيرتها وإنجازاتها وخدماتها ونشاطاتها الهائلة حول العالم.

ولا يمكن الإحاطة بجميع خدمات مركز الدعوة الإسلامية في هذا المقال الموجز، غير أن النظر إليها في ضوء المبادئ العشرة التي وضعها إمام أهل السنة، ومجدد الدين والملة، الشيخ أحمد رضا خان الهندي رحمه الله تعالى، للنهوض بأهل السنة والجماعة علميًا ودعويًا وتنظيميًا، يُظهر مدى نجاح المركز في ترجمة تلك المبادئ إلى واقع عملي ملموس.

وقد دوّن الإمام أحمد رضا خان الهندي الحنفي رحمه الله تعالى هذه المبادئ في موسوعته الفقهية العظيمة "الفتاوى الرضوية" أثناء جوابه عن أحد الاستفتاءات، وجعلها أساسًا لنشر الوعي الديني وترسيخ العقيدة الصحيحة وفق منهج أهل التصوف السني من الأشاعرة والماتريدية، ونوردها أولًا، ثم نستعرض خدمات وإنجازات مركز الدعوة الإسلامية في ضوئها.

أولًا: المبادئ العشرة لانطلاق المشاريع الدعوية والإصلاحية والتعليمية.

1. بناء المدارس والجامعات المتطورة للدراسات الإسلامية وفق نظام متكامل.
2. توفير المنح الدراسية للطلاب تشجيعًا لهم على مواصلة الدراسة.
3. تقديم رواتب عالية للمعلمين وفق كفاءتهم وأدائهم، ليبذلوا أقصى جهدهم في التدريس، بعيدًا عن الطمع والجشع.
4. اكتشاف مواهب الطلاب وقدراتهم، وتوجيههم إلى المجالات التي تتناسب مع كفاءاتهم، مع تخصيص رواتب مناسبة لهم؛ ليتأهلوا لخدمة الدين في مجالات التدريس، والوعظ، والتأليف، والمناظرة، كلٌ بحسب اختصاصه وكفاءته.
5. توظيف الطلاب بعد التخرج في مناطق مختلفة ليخدموا الدين بالدعوة والكتابة والموعظة الحسنة والمناظرة (عند الحاجة).
6. منح المؤلفين المكافآت الملائمة؛ لتحفيزهم على تأليف الكتب والرسائل النافعة في الدفاع عن الدين، وترسيخ العقيدة الصحيحة، والرد على الشبهات، ومواجهة محاولات تشويهها.
7. طباعة الكتب الإسلامية المعتمدة قديمها وحديثها في أبهى حلة وتوزيعها بين الناس مجانًا.
8. تعيين مسؤولين في مختلف البلدان لرصد احتياجاتها الدعوية والعلمية، وما تقتضيه من مناقشات أو مؤلفات، ورفعها إلى الجهات المختصة؛ لإرسال الدعاة، وتزويدها بالكتب والرسائل والمجلات اللازمة للدفاع عن الدين ونشر العقيدة الصحيحة.
9. تفريغ أصحاب المواهب والكفاءات من أعباء المعيشة، بتخصيص رواتب شهرية لهم، وتوجيههم إلى المجالات الدينية التي تتناسب مع قدراتهم.
10. نشر جرائد أو مجلات دينية تتضمن مقالات متنوعة في حماية الدين من وقت لآخر، ليتم توزيعها يوميًا أو أسبوعيًا على الأقل، مجانًا أو بتكلفة مناسبة. (الفتاوى الرضوية: 599/29)

وقد بذل علماء أهل السنة والجماعة في شبه القارة الهندية جهودًا كبيرة لتحقيق هذه الرؤية الإصلاحية التي رسمها الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى، وكان لمركز الدعوة الإسلامية إسهامٌ بارز في تجسيدها على أرض الواقع، وفيما يأتي نستعرض بإيجاز أبرز خدماته وإنجازاته في ضوء هذه المبادئ العشرة.

1 بناء المؤسسات التعليمية المتطورة:

حرص مركز الدعوة الإسلامية على نشر العلوم الشرعية والعصرية من خلال إنشاء شبكة واسعة من الأقسام التعليمية، فأسس جامعة المدينة لإعداد العلماء والعالمات، وبلغ عدد فروعها 1534 فرعًا، ومدرسة المدينة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم تلاوته، وبلغ عدد فروعها 7765 فرعًا، إلى جانب دار المدينة التي تجمع بين التعليم الشرعي والأكاديمي، وبلغ عدد فروعها 112 فرعًا.

وقد تخرّج في هذه الأقسام آلاف العلماء والعالمات، ولا يزال آلاف الطلاب والطالبات يواصلون دراستهم فيها، كما أتمّ مئات الآلاف من الأبناء والبنات حفظ القرآن الكريم أو تعلُّم تلاوته الصحيحة، في حين يواصل آلاف آخرون مسيرتهم التعليمية فيها.

ولم تقتصر جهود المركز على تعليم الناشئة، بل أنشأ أكثر من 40802 فرعًا لـمدرسة المدينة للكبار؛ لتمكين من فاتهم التعلُّم في صغرهم من اكتساب العلوم الدينية الأساسية، كما أتاح برامج تعليمية عن بُعد عبر قسم أكاديمية فيضان للدراسات الإسلامية عن بعد، لتيسير دراسة العلوم والتخصصات الشرعية المختلفة للراغبين في طلبها.

2 توفير المنح الدراسية للطلاب:

لم يقتصر اهتمام المركز على إتاحة فرص التعليم، بل امتد إلى رعاية طلابه والاهتمام بشؤونهم، إذ يوفر للطلاب المقيمين السكن المناسب، والوجبات الغذائية، والرعاية الصحية، كما يمنح الدارسين في برامج التخصص، مثل: الفقه، والدعوة، والحديث، واللغات، وغيرها من التخصصات، مكافآت مالية تعينهم على التفرغ للتحصيل العلمي.

3 الاهتمام برواتب المعلمين:

يولي المركز عناية خاصة بالمعلمين والمعلمات في جامعات ومدارس المدينة، فيوفر لهم رواتب شهرية مناسبة، إلى جانب مكافآت سنوية، وتعويض مالي عن الإجازات المستحقة غير المستخدمة يُصرف كل ستة أشهر، كما يمنحهم زيادات سنوية وفقًا لتقويم الأداء والتصنيف الوظيفي، مع الترقيات الوظيفية وما يترتب عليها من تحسين في الرواتب بحسب الأنظمة المعتمدة، فضلًا عن توفير الرعاية الصحية من خلال قسم العلاج الطبي، وفق الضوابط المقررة.

4 اكتشاف قدرات الطلاب وتوجيههم إلى المجالات المناسبة:

يحرص المركز على اكتشاف قدرات طلابه وميولهم، وتوجيههم إلى المجالات التي تتناسب مع مؤهلاتهم ورغباتهم، فالخريج الذي تتوافر فيه الكفاءة والرغبة في التدريس يُلحق بدورة إعداد المدرسين، ثم يُكلّف بالتدريس في الأقسام التعليمية التابعة للمركز، أما من تظهر لديه الأهلية والرغبة في الإفتاء، فيلتحق ببرنامج التخصص في الفقه، ثم يخضع لتدريب عملي على إعداد الفتاوى، وبعد اجتياز جميع مراحله بنجاح يُمنح فرصة العمل في دار الإفتاء التابعة للمركز.

كما يُلحق المهتمون بعلم الحديث ببرنامج التخصص في الحديث؛ ليتعمقوا في هذا العلم، ويُعنى المركز كذلك بتأهيل الخريجين في عدد من اللغات، كالإنجليزية والعربية والصينية وغيرها، ثم يُوفَدون -عند الحاجة- إلى مختلف البلدان للقيام بأعمال التدريس والدعوة إلى الله تعالى.

ومن جانب آخر، يضم المركز قسمًا بحثيًا متخصصًا باسم "المدينة العلمية" (Islamic Research Centre)، يُعنى بالبحث العلمي والتأليف والتصنيف، ويُرشّح للعمل فيه الخريجون الذين يتمتعون بالقدرة والميول في مجال البحث والكتابة.

5 تأهيل الدعاة وإيفادهم داخل البلاد وخارجها:

يُوفِد المركز خريجيه من العلماء والدعاة إلى مختلف المناطق داخل البلاد وخارجها، وفقًا لحاجة العمل الدعوي وكفاءاتهم العلمية؛ للقيام بمهام الدعوة إلى الله تعالى من خلال إلقاء الدروس والمحاضرات، والدعوة الفردية، وسائر الأنشطة الدعوية، ولإعدادهم لهذه الرسالة، ينظم المركز عددًا من الدورات التدريبية المتخصصة؛ لتأهيلهم للقيام بهذه المهمة على الوجه الأكمل.

6 العناية بمجال التأليف والبحث العلمي:

يتولى هذه المهمة قسم: "المدينة العلمية" (Islamic Research Centre)، وهو أحد أبرز الأقسام البحثية التابعة للمركز، ويضم حاليًا ثلاثة فروع، ويبلغ عدد العاملين فيه 144 موظفًا وباحثًا، من بينهم عدد كبير من خريجي جامعة المدينة في مجالات التأليف، والتحقيق، والترجمة، وتخريج الأحاديث، وغيرها من الأعمال العلمية والبحثية، ويوفر المركز للعاملين فيه رواتب مناسبة، إلى جانب المكافآت السنوية، والترقيات الوظيفية، وغيرها من المزايا والحوافز.

وقد أثمرت جهود هذا القسم عن إصدار ما يقارب 1074 كتابًا ورسالةً علميةً مطبوعة عبر قسم النشر التابع للمركز "مكتبة المدينة"، كما أُتيح أكثر من 1137 كتابًا ورسالةً أخرى بصيغة (PDF) على الموقع الإلكتروني الرسمي للمركز.

وإلى جانب ذلك، يضم المركز قسمًا متخصصًا بالترجمة يُعرف باسم: "قسم الترجمة" (Translation Department)، يتولى بإشراف نخبة من المتخصصين ترجمة مؤلفات ورسائل المدينة العلمية، إضافة إلى مؤلفات ورسائل مؤسس المركز، فضيلة الشيخ محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى، إلى 40 لغةً من لغات العالم.

7 توفير الكتب والرسائل مجانًا:

حرصًا على إيصال الكتب والرسائل الإسلامية المعتمدة إلى أكبر شريحة من المسلمين، أنشأ المركز قسمًا خاصًا باسم: "قسم توزيع الرسائل"، يتولى توزيع آلاف الكتب والرسائل وإهداءها إلى عامة المسلمين والعلماء والدعاة بصورة مستمرة، اعتمادًا على التبرعات المخصصة لهذا المشروع.

كما يتولى قسم تقنية المعلومات بالمركز نشر إصدارات مكتبة المدينة من الكتب والرسائل على الموقع الإلكتروني الرسمي، ليتمكن الزائرون من تحميلها مجانًا، مما أسهم في توسيع نطاق الانتفاع بها داخل البلاد وخارجها.

8 تنظيم العمل الدعوي بتعيين المسؤولين في البلدان المختلفة:

يتميز المركز بهيكل تنظيمي متكامل، إذ عيّن مسؤولين في مختلف المدن والمناطق، وعلى مستوى الإدارات والأقسام، للإشراف على الأعمال الدعوية، والتربوية، والإدارية، بما يضمن حسن سير العمل وفق خطط مدروسة وآليات منظمة.

كما أنشأ المركز هيكلًا تنظيميًا مستقلًا للأخوات المسلمات، يعمل تحت إشراف اللجنة التشاورية العالمية للمركز، ويتولى تنظيم الأعمال الدعوية النسائية مع الالتزام الكامل بأحكام الحجاب الشرعي، ولتعزيز هذا البناء التنظيمي وضمان تماسكه، أُنشئ المجلس المركزي للشورى؛ للإشراف على مختلف الأنشطة والأعمال التي ينفذها المركز حول العالم.

وبذلك يضطلع آلاف المسؤولين، كلٌ في نطاق مسؤوليته، بخدمة الدين، والإسهام في نشر العقيدة الصحيحة بين مختلف شرائح المجتمع.

9 تعيين الخريجين في المجالات الدينية:

يحرص المركز على الاستفادة من خريجيه المؤهلين، فيُعيّنهم في مختلف الإدارات والأقسام التابعة له، بما يتناسب مع كفاءاتهم العلمية؛ ليشاركوا في الدعوة إلى الله تعالى وخدمة الإسلام في مختلف أنحاء العالم.

10 استخدام وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية:

إدراكًا لأهمية وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية ودورها المؤثر في نشر المعرفة، حرص المركز على توظيفها في خدمة الدين ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة، ففي مجال الإعلام المطبوع، أنشأ المركز "مكتبة المدينة"، التي تُعنى بطباعة الكتب ونشرها باللغات العربية، والأردية، والإنجليزية، وغيرها من اللغات المحلية والعالمية، كما تُصدر عددًا من المجلات، منها مجلة عربية فصلية، ومجلة أردية شهرية، إلى جانب مجلات باللغات الإنجليزية، والهندية، والغجراتية، والبنغالية، والسندية.

أمّا في مجال الإعلام الإلكتروني، فقد أنشأ المركز منظومةً إعلاميةً متكاملة، في مقدمتها قناةٌ فضائيةٌ تُبث برامجها بثلاث لغات: الأردية، والإنجليزية، والبنغالية، إلى جانب باقةٍ من البرامج المتخصصة للأطفال وكبار السن، تُنتَج وتُقدّم بإشراف قِسمَيْ قناة مدني للأطفال وقناة مدني لكبار السن، كما أنشأ، من خلال قسم تقنية المعلومات، مجموعةً من المواقع الإلكترونية الرسمية، وأطلق عبر قسم التواصل الاجتماعي منصاتٍ رقميةً متعددة اللغات، تشمل الأردية والعربية والإنجليزية وغيرها، كذلك أسّس قسمًا متخصصًا باسم إدارة الشؤون العربية.

تتولى هذه الجهات جميعها نشر المحتوى الدعوي والتعليمي والتربوي الموثوق عبر المواقع الإلكترونية والمنصات الرقمية والقنوات الرسمية، بما يلبّي احتياجات مختلف الفئات العمرية، وقد بلغ عدد المستفيدين من هذه المنصات ملايين الأشخاص في مختلف أنحاء العالم.

ويقف وراء هذه الجهود نخبةٌ من العلماء المتخرجين في المركز، يتولى عددٌ منهم إعداد المحتوى، ومراجعته، وتدقيقه، والإشراف على مختلف مراحل إنتاجه؛ لضمان أن يكون كلُ ما يصدر عن المركز، سواءٌ أكان مطبوعًا، أم مرئيًا، أم رقميًا، متوافقًا مع الضوابط الشرعية والمعايير التنظيمية، وبما يضمن إيصال تعاليم الإسلام الصحيحة الموثوقة إلى الناس.

فنسأل الله الكريم أن يبارك في هذا المركز، وأن يوفقه إلى مزيد من التقدم والازدهار، وأن يجعله سببًا في نشر تعاليم الإسلام الصحيحة في أنحاء العالم، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

لقراءة المجلات السابقة امسح الرمز:

المقر الرئيسي:

فيضان مدينة

بجوار شركه الاتصالات الباكستانية، شارع الجامعة،
كراتشي، باكستان

arabic@dawateislami.net

arabicdawateislami.net

Dawateislamiar +92 311 6336937

للاشتراك السنوي بمجلة

نفحات المدينة

للحجز تواصل معنا عبر ..... +92 311 7301781 +92 313 1139278

العدد الواحد: 12 دولارًا / 500 روبية باكستانية

الحجز السنوي مع الخصم: 45 دولارًا / 2،000 روبية باكستانية

(شاملًا رسوم التوصيل)

احجز الآن واستفد من العرض المميز!

978-969-722-970-3
01130354